
السنابل
مغامرات شرلوك هولمز
النظارة الذهبية
وقصتان أخريان

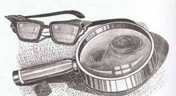




مغامرات شرلوك هولمز

النظّارة الذهبيّة

وقصّتان أخريان



تأليف : آرثر كونان دويل

إعداد : الدكتور محمّد محمود رضوان

رسوم : عبد الشافي سيّد

مكتبة لبنان

بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٠-X

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

مُقَدِّمةٌ

مُنْذُ سَنَواتٍ مَضَتْ ، كانَ شِرْلُوك هُولمْز يُعَدُّ مِنْ أَذْكى رِجالِ ٱلْمَباحِثِ وَأَوْسَعِهِمْ شُهْرَةً في جَميعِ أَرْجاءِ إِنجِلْتِرا . وَكَثيرًا ما كانَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ لِيَسْتَعينوا بِهِ في ٱلْكَشْفِ عَنْ غُموضِ بَعْضِ ٱلْقَضايا .

أَمّا أَنا ، فَٱسْمي دُكْتور واطْسُن . وَكُنْتُ أُعاوِنُ هُولمْز في كَثيرٍ مِنَ ٱلْقَضايا ٱلَّتي يَتَوَلّاها .

وَفي عامِ ١٨٩١ كُنْتُ أَعْمَلُ مَعَ هُولمْز في إِحْدى ٱلْقَضايا . وَكانَ عَلَيْنا أَنْ نُغادِرَ إِنجِلْتِرا لِإِنْجازِ بَعْضِ ٱلْأُمورِ ، وَبَيْنَما نَحْنُ في ٱلْخارِجِ إِذا بِهُولمْز يَخْتَفي ، وَظَنَّ ٱلْجَميعُ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ . وَكُنْتُ أَشَدَّ ٱلنّاسِ أَسَفًا وَأَسًى بِسَبَبِ ما ٱسْتَقَرَّ في نَفْسي مِنْ أَنَّ صَديقي هُولمْز قَدْ ماتَ .

وَذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ عامِ ١٨٩٤ فوجِئْنا بِعَوْدَةِ هُولمْز إِلى إِنجِلْتِرا . إِذًا فَهُوَ لَمْ يَكُنْ في عِدادِ ٱلْأَمْواتِ كَما ظَنَّ ٱلْكَثيرونَ . وَكُنْتُ سَعيدًا بِعَوْدَتِهِ وَبِأَنّي سَأَراهُ ثانِيَةً بَعْدَ غَيْبَةٍ طَويلَةٍ . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى ٱسْتَأْنَفْنا ٱلْعَمَلَ مَعًا في بَعْضِ ٱلْقَضايا . وَفي هٰذِهِ ٱلْفَتْرَةِ كانَ هُولمْز – كَمُخْبِرٍ سِرِّيٍّ – أَكْثَرَ مَهارَةً وَخِبْرَةً مِمّا كانَ مِنْ قَبْلُ .

وَسَوْفَ أَقُصُّ عَلَيْكَ في هٰذا ٱلْكِتابِ ثَلاثًا مِنْ أَحْسَنِ ٱلْقَضايا ٱلَّتي تَوَلّاها

هُولمْز في هٰذِهِ ٱلْفَتْرَةِ ، وَهِيَ : « سِرُّ التَّماثيلِ السِّتَّةِ » وَ « ٱلْبَنّاءُ ٱلْمُخْتَفي » وَ « ٱلنَّظّارَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ » .

آمُلُ أَنْ تَجِدَ في قِراءَتِها لَذَّةً وَمُتْعَةً .

الدُّكْتور واطْسُن

النظّـــارةُ الذّهبيّـــةُ

الفصـــلُ الأوّلُ

كانتْ لَيلةً عاصِفةً مِنَ اللّيالي الأواخرِ في شَهْرِ نوفمبر (تشرينَ الثّاني). وَكُنّا - أنا وَشِرْلوك هولمز - مُنهمِكَيْنِ في القِراءةِ قُربَ المِدْفأةِ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْرُقُ أسْماعَنا إلّا عَويلُ الرّيحِ، وَهُطولُ المَطرِ خارجَ المَنزِلِ. وكانَ اللّيْلُ قَدْ أرْخَى سُدولَهُ، وَأوى النّاسُ إلى مَضاجِعِهِمْ.

وَضَعَ هولمز كِتابَهُ وَقالَ: «أنا مَسْرورٌ لِأنّهُ لَيسَ هُناكَ ما يَضْطَرُّنا إلى الخُروجِ اللّيْلَةَ ياواطْسُن.»

قُلْتُ: «وَأنا كَذلِكَ.»

لَمْ أكَدْ أُتِمُّ عِبارَتي حَتّى سَمِعْنا صَوْتَ عَرَبةٍ تَتَوقَّفُ خارِجَ المَنْزِلِ، وَيَهْبِطُ مِنْها شَخْصٌ ما. فَاتّجَهْتُ نَحْوَ النّافِذةِ وَتَطلّعْتُ مِنْ خِلالِ الظّلامِ، وَقُلْتُ: «شَخْصٌ ما قادِمٌ إلَيْنا.»

قالَ هولمز: «تُرى مَنْ يَكونُ؟»

وَسَرْعانَ ما عَرَفْنا شَخْصيّةَ زائِرِنا، وَكانَ سْتانْلي هوبْكِينْز، وَهُوَ ضابِطُ مَباحِثَ شابٌّ في سْكوتْلانْديارْد، وَأذْكُرُ أنّنا كُنّا قد عاوَنّاهُ في بَعْضِ القَضايا فيما مَضى.

قالَ هولمز لِلزّائِرِ: «أُدْخُلْ وَاجْلِسْ بِجِوارِ المِدْفأةِ، فَإنّ اللّيْلَةَ شَديدةُ

البُرودةِ غَزيرةُ المَطَرِ. لابُدَّ أنّ لَدَيْكَ قَضيّةً مُثيرةً لي.»

أجابَ ضابِطُ المَباحِثِ: «نَعَمْ. هَلْ رَأيْتَ صُحُفَ المَساءِ ياسَيِّدُ هولمز؟»

قالَ هولمز: «لا. فَقَدْ كُنْتُ مَشْغولًا بِقِراءةِ كِتابٍ.»

قالَ هوبْكِينْز: «لاعَلَيْكَ.. إنّ الصُّحُفَ لَمْ تَذْكُرْ إلّا بَعْضَ مَعْلوماتٍ قَليلةٍ. فَالقَضيّةُ حَديثةٌ جِدًّا، وَشُرْطةُ يوكْسلي لَمْ تَسْتَدْعِني إلّا بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ.»

سَألْتُ الضّابِطَ: «وَأيْنَ يوكْسلي؟»

أجابَ: «في مُقاطَعةِ كِنْت، وَهِيَ مَكانٌ صَغيرٌ جِدًّا. وَعِنْدَما وَصَلْتُ هُناكَ كانَ يُخَيَّلُ إلَيَّ أنّها سَتَكونُ قَضيّةً سَهْلةً، أمّا الآنَ فَإنّها تَبْدو لي في غايةِ الصُّعوبةِ. فَهُناكَ رَجُلٌ مَيْتٌ، وَحَقيقةً لَسْتُ أدْري، ماالّذي يَدْعو إلى قَتْلِهِ.»

قالَ شِرْلوك هولمز: «أخْبِرْني بِكُلِّ شَيْءٍ.»

قالَ ضابِطُ المَباحِثِ: «يوكْسلي أولْد بْلِيس، مَنْزِلٌ ريفِيٌّ كَبيرٌ عَلى مَقْرَبةٍ مِنْ قَرْيةٍ صَغيرةٍ. وَمُنْذُ نَحْوِ عَشْرِ سَنَواتٍ جاءَ رَجُلٌ مُسِنٌّ لِيُقيمَ فيهِ، هُوَ البْروفِيسُور كُورام. وَكانَ الرَّجُلُ مَريضًا لا يَسْتَطيعُ السَّيْرَ إلّا مُتَوكِّئًا عَلى عَصاهُ، وَلَمْ تَكَدْ تَمْضي أشْهُرٌ قَليلةٌ عَلى قُدومِهِ حَتّى تَوَطّدَتِ الصَّداقةُ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ جيرانِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَزوروا مَنْزِلَهُ إِلّا قَليلًا .

«وَيَتَرَدَّدُ ٱلْحَديثُ بَيْنَ ٱلنّاسِ أَنَّهُ رَجُلٌ ذَكِيٌّ ، وَيَقْضي مُعْظَمَ أَوْقاتِهِ عاكِفًا عَلى كُتُبِهِ . وَيَقومُ عَلى قَضاءِ حاجاتِهِ خادِمَتانِ وَبُسْتانِيٌّ . أَمّا ٱلْخادِمَتانِ فَهُما ٱلسَّيِّدَةُ ماركَر ٱلطّاهِيَةُ ، وَسوزان تارلْتون . وَٱلْواقِعُ أَنَّهُما خادِمَتانِ طَيِّبَتانِ ، وَقَدْ قَضَتا في خِدْمَتِهِ فَتْرَةً طَويلَةً مِنَ ٱلزَّمانِ .

«كانَ البروفيسور مَشْغولًا بِتَأْليفِ كِتابٍ . وَمُنْذُ عامٍ رَأى أَنَّهُ في حاجَةٍ إِلى سِكْرِتيرٍ يُعاوِنُهُ ، وَٱسْتَخْدَمَ رَجُلًا لِهٰذِهِ ٱلْمُهِمَّةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلى مُسْتَوًى طَيِّبٍ في ٱلْكِتابَةِ ، فَلَمْ يَقْضِ إِلّا فَتْرَةً قَصيرَةً ، وَٱسْتَبْدَلَ بِهِ آخَرَ يُدْعى سْميث . وَصارَ سْميث صَديقًا مُقَرَّبًا مِنْهُ ، وَمُعينًا لَهُ في عَمَلِهِ . وَكانا يَشْتَغِلانِ مَعًا يَوْمِيًّا حَتّى كادَ ٱلْبروفيسور يَفْرَغُ مِنْ تَأْليفِ ٱلْكِتابِ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذي حَدَثَ أَخيرًا هُوَ أَنَّ ٱلسِّكْرِتيرَ ٱلشّابَّ قَدْ قُتِلَ .

«وَكَما قُلْتُ مِنْ قَبْلُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزُرْ هٰذا ٱلْمَنْزِلَ إِلّا عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ ٱلنّاسِ ، وَسُكّانُ ٱلْمَنْزِلِ أَنْفُسُهُمْ لا يُغادِرونَهُ إِلّا نادِرًا ، وَمِنْ بَيْنِهِمُ ٱلشَّيْخُ ٱلْكَبيرُ مورْتيمَر ٱلْبُسْتانِيُّ ٱلَّذي يُقيمُ في كوخٍ بِحَديقَةِ ٱلْمَنْزِلِ .

«وَيَقَعُ يوكْسلي أولْد بْليس قَريبًا مِنَ ٱلطَّريقِ ٱلْمُؤَدّي إِلى لَنْدَن ، وَلَمّا كانَتْ بَوّابَةُ ٱلْحَديقَةِ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يُمْكِنُ فَتْحُهُ بِسُهولَةٍ ، فَإِنَّ مِنَ ٱلْمَيْسورِ أَنْ يَتَسَلَّلَ أَيُّ شَخْصٍ إِلى ٱلْحَديقَةِ ثُمَّ إِلى ٱلْمَنْزِلِ وَيَهْرُبَ بِمُنْتَهى ٱلسُّرْعَةِ .

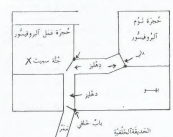
«لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَ ٱلْخادِمَةِ سوزان تارلْتون ، فَقالَتْ إِنَّها كانَتْ تَعْمَلُ في

إِحْدى غُرَفِ ٱلنَّوْمِ بَيْنَ ٱلسّاعَةِ ٱلْحادِيَةَ عَشْرَةَ وَٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ هٰذا ٱلصَّباحَ ، وَكانَ البروفيسور كورام لا يَزالُ في فِراشِهِ لِأَنَّهُ لا يَنْهَضُ في ٱلْغالِبِ إِلّا مُتَأَخِّرًا ، أَمّا سْميث فَقَدْ كانَ في حُجْرَةِ نَوْمِهِ يَقْرَأُ كِتابًا . وَأَضافَتِ ٱلْخادِمَةُ أَنَّها بَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ سَمِعَتْ وَقْعَ أَقْدامِ سْميث وَهُوَ يَهْبِطُ مِنْ حُجْرَتِهِ إِلى ٱلْحُجْرَةِ ٱلَّتي يَعْمَلُ فيها عادَةً مَعَ البروفيسور وَفَجْأَةً طَرَقَتْ سَمْعَها صَيْحَةٌ مُدَوِّيَةٌ ، فَنَزَلَتْ عَلى عَجَلٍ إِلى ٱلْحُجْرَةِ لِتَجِدَ ٱلسَّيِّدَ سْميث مُمَدَّدًا عَلى ٱلْأَرْضِ ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى ٱلْمَوْتِ ، وَفي عُنُقِهِ جُرْحٌ ، وَعَلى ٱلْأَرْضِ كَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ مِنَ ٱلدَّمِ . وَقَدْ تَمَكَّنَ ٱلسَّيِّدُ سْميث أَنْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِماتٍ قَليلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفاسَهُ ٱلْأَخيرَةَ . وَكانَ صَوْتُهُ خافِتًا ، لٰكِنَّ سوزان تارلْتون تَذْكُرُ أَنَّهُ قالَ : (ٱلْبروفيسور ، إِنَّها هِيَ ...)

«كانَ لي حَديثٌ بَعْدَ ذٰلِكَ مَعَ ٱلطّاهِيَةِ ٱلَّتي كانَتْ قَدْ وَصَلَتْ إِلى ٱلْحُجْرَةِ عَقِبَ مَوْتِ ٱلسَّيِّدِ سْميث . وَقَدْ سارَعَتِ ٱلِاثْنَتانِ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى حُجْرَةِ البروفيسور ٱلَّذي كانَ لا يَزالُ في فِراشِهِ ، وَقَدْ أَصابَهُ ٱلْفَزَعُ حينَ سَمِعَ ٱلصَّيْحَةَ ٱلْمُدَوِّيَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يَنْهَضَ مِنْ فِراشِهِ دونَ أَنْ يُعاوِنَهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ - كَما ذَكَرَ - لا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكونَ هُناكَ أَيُّ سَبَبٍ يَدْعو إِلى قَتْلِ ٱلسَّيِّدِ سْميث .

«وَقَدْ أَبْلَغَ مورْتيمَر ٱلْخَبَرَ إِلى رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ ٱلَّذينَ قاموا بِٱسْتِدْعائي ، وَعِنْدَما وَصَلْتُ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلْجَميعَ كانوا حَريصينَ عَلى أَلّا يَطَأَ أَحَدٌ مَمَرَّ ٱلْحَديقَةِ . كَما أَنَّهُمْ لَمْ يُحَرِّكوا أَيَّ شَيْءٍ في ٱلْمَنْزِلِ مِنْ مَكانِهِ .»

وَها هِيَ ذي خريطةٌ لِلْمَنْزِلِ وَٱلحَديقةِ ، أَطْلَعَنا عَلَيْها ستانْلي هُوبْكِينْز :



قالَ هُوبْكِينْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ شَخْصًا شَديدَ ٱلذَّكاءِ قَدْ حَضَرَ إلى ٱلمَنْزِلِ هٰذا ٱلصَّباحَ . صَحيحٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ آثارُ أَقْدامٍ على مَمَرِّ ٱلحَديقَةِ ذاتِهِ ، وَلٰـكِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى ما يَدُلُّ على أَنَّ شَخْصًا ما قَدْ مَشى عَلى ٱلعُشْبِ ٱلمُمْتَدِّ بِمُحاذاةِ ٱلممَرِّ . وَقَدْ تَعَمَّدَ هٰذا ٱلشَّخْصُ - رَجُلًا كانَ أَمِ آمْرَأَةً - أَنْ يُخْفِيَ أَنَّهُ كانَ هُناكَ .

« لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى ٱلحُجْرةِ ، وَفَحَصْتُ جُثَّةَ ٱلسَّيِّدِ سْميث ، وَكانَ هُناكَ

سِكِّينٌ صَغيرٌ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱلسِّكِّينُ ٱلَّذي قُتِلَ بِهِ . وَهٰذا ٱلسِّكِّينُ يَمْلِكُهُ البُروفيسُور ، وَكانَ دائِمًا يَحْتَفِظُ بِهِ عَلى ٱلمِنْضَدةِ بِهٰذِهِ ٱلحُجْرةِ . وَكانَ ٱلجُرْحُ في جانِبِ عُنُقِ سْميث عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْ ظَهْرِهِ ؛ وَمِنْ هُنا فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ طَعَنَ نَفْسَهُ . »

قالَ هُولمْز : « لَعَلَّهُ سَقَطَ عَلى ٱلسِّكِّينِ . »

رَدَّ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « لا ، لَقَدْ كانَ ٱلسِّكِّينُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ قَريبًا مِنَ ٱلجُثَّةِ . إنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ وَجَدْناهُ هُوَ هٰذا . » وَقَدَّمَ لِهُولمْز نَظّارةً ؛ فَأَخَذَها وَفَحَصَها بِعِنايةٍ ، وَبَعْدَ لَحَظاتٍ تَناوَلَ قُصاصةَ وَرَقٍ كَتَبَ فيها بَعْضَ ٱلعِباراتِ ، ثُمَّ ناوَلَها لِستانْلي هُوبْكِينْز ٱلَّذي قَرَأَ فيها :

« حاوِلْ أَنْ تَعْثُرَ عَلى سَيِّدةٍ تَمْتَلِكُ ثَرْوةً ضَخْمةً ، تَلْبَسُ ثِيابًا ثَمينةً وَلَها أَنْفٌ غَليظٌ ، وَعَيْناها مُتَقارِبَتانِ ، تُحَمْلِقُ بِبَصَرِها حينَما تَنْظُرُ إلى أَيِّ شَيْءٍ . وَقَدْ زارَتْ هٰذِهِ ٱلسَّيِّدةُ صانِعَ نَظّاراتٍ مَرَّتَيْنِ عَلى ٱلأَقَلِّ في خِلالِ ٱلشَّهْرَيْنِ ٱلماضِيَيْنِ . أَمّا نَظّارَتُها فَهِيَ مَتينةٌ بِشَكْلٍ غَيْرِ عادِيٍّ ، وَباهِظَةُ ٱلثَّمَنِ . وَلَمّا كانَ عَدَدُ صانِعي ٱلنَّظّاراتِ ٱلطِّبِّيَّةِ في لَنْدَن مَحْدودًا ، فَإِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَنْ تَجِدَ صُعوبةً في ٱلِاهْتِداءِ إِلَيْها . »

أَخَذَتِ ٱلدَّهْشةُ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ ، كَما أَخَذَتْني ، حينَما قَرَأَ عِباراتِ هُولمْز . أَمّا هُولمْز فَقَدْ أَخَذَ يَنْظُرُ إلى وَجْهَيْنا وَهُوَ يَضْحَكُ ، ثُمَّ قالَ :

« إنَّ ٱلنَّظّاراتِ يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِئَنا بِالكَثيرِ عَنْ أَصْحابِها ٱلَّذينَ يَسْتَخْدِمونَها ،



وَهٰذِهِ ٱلنَّظَّارةُ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ صاحِبَتُها سَيِّدةً ، فَهِيَ أَنيقةٌ جِدًّا ، ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّيِّدَ سْمِيث قال قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفاسَهُ : (إِنَّها هِيَ ...) وَهٰذا يَجْعَلُني أَعْتَقِدُ أَنَّ سَيِّدةً كانَتْ هُناكَ . وَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ ذاتَ مالٍ ، وَمُغْرَمةً بِالأَشْياءِ ٱلثَّمينةِ لِأَنَّ ٱلنَّظَّارةَ مِنَ ٱلذَّهَبِ ، وَٱلنَّظَّاراتُ ٱلغاليةُ ٱلثَّمَنِ تُصْنَعُ عادةً لِتُلائِمَ تَمامًا ٱلشَّخْصَ ٱلَّذي يَسْتَعْمِلُها . »

اِلْتَفَتَ هُولْمْز إِلَيَّ وَقالَ : « إِنَّ أَنْفَكَ غَليظٌ إِلى حَدٍّ كَبيرٍ ، وَمَعَ هٰذا فَأَنا واثِقٌ أَنَّ هٰذِهِ ٱلنَّظَّارةَ تُكَبِّرُ أَنْفَكَ بِكَثيرٍ ؛ وَمَعَ أَنَّ وَجْهِيَ ضَيِّقٌ ، وَعَيْنَيَّ مُتَقارِبَتانِ – فَإِنَّهُ يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَنْظُرَ مِنْ خِلالِها . وَهٰكَذا تَرَيانِ كَيْفَ ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَعْرِفَ ما عَرَفْتُ عَنْ أَنْفِ ٱلسَّيِّدةِ وَعَيْنَيْها . »

سَأَلْتُهُ : « وَلٰكِنْ ماذا عَمّا ذَكَرْتَ مِنْ حَمْلَقَتِها ، وَعَنْ زِياراتِها لِصانِعِ ٱلنَّظَّاراتِ ٱلطِّبِّيَّةِ ؟ »

أَجابَ هُولْمْز : « إِنَّ ضِعافَ ٱلبَصَرِ دائِمًا يُحَمْلِقونَ عِنْدَما يَنْظُرونَ إِلى ٱلأَشْياءِ ، فَهُمْ لا يَسْتَطيعونَ ٱلرُّؤْيةَ بِسُهولةٍ ، وَلَقَدْ كانَ واضِحًا لي أَنَّ ٱلنَّظَّارةَ أُصْلِحَتْ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ ٱلإِصْلاحَ تَمَّ في وَقْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ . إِنَّ ٱلذَّهَبَ جَديدٌ جِدًّا وَأَشَدُّ صُفْرةً في أَحَدِ ٱلمَكانَيْنِ ، بَيْنَما يَبْدو في ٱلمَكانِ ٱلآخَرِ قَديمًا إِلى حَدٍّ ما . »

قالَ هُوبْكِينْز : « إِنَّكَ دائِمًا شَديدُ ٱلذَّكاءِ يا سَيِّدُ هُولْمْز . إِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْرِفُ ٱلآنَ عَنْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ أَكْثَرَ مِمّا أَعْرِفُ ، مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَزُرْ قَطُّ يُوكْسلي

أولْد بْلِيس . فَهَلْ تَتَفضَّلُ أنْتَ وَٱلدُّكتور واطْسُن بِالذَّهابِ مَعي إلى هُناكَ في ٱلغَدِ ؟ »

قُلْنا : « نَعَمْ.»

كانَ عَلَيْنا أنْ نَأْخُذَ قِطارَ ٱلسَّاعةِ ٱلسادِسةِ مِنْ صَباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي ، وَلِذٰلِكَ طَلَبَ هُولمْز مِنْ سْتانْلي هُوپْكِينْز أنْ يَقْضِيَ ٱللَّيْلةَ مَعَنا .

الفَصْـلُ ٱلثَّاني

كانَ ٱلطَّقْسُ في ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي أحْسَنَ ، وَلٰكِنَّ ٱلبَرْدَ لَمْ يَزَلْ شَديدًا . أخَذْنا ٱلقِطارَ إلى بَلْدةٍ صَغيرَةٍ قُرْبَ تْشاتام ، حَيْثُ تَناوَلْنا طَعامَ ٱلإفْطارِ ، ثُمَّ رَكِبْنا عَرَبةً إلى يُوكْسلي أولْد بْلِيس . كانَ هُناكَ شُرْطِيٌّ في ٱنْتِظارِنا عِنْدَ بَوَّابةِ ٱلمَنْزِلِ ، فَسَألَهُ سْتانْلي هُوپْكِينْز عَمّا إذا كانَ شَيْءٌ حَدَثَ أثْناءَ ٱللَّيْلِ ، فَأجابَ بِالنَّفْيِ ، وَأضافَ أنَّ ٱلشُّرْطةَ لَمْ تَهْتَدِ إلى جَديدٍ .

قالَ هُوپْكِينْز لِهُولمْز : « هٰذا هُوَ مَمَرُّ ٱلحَديقةِ يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَتَسْتَطيعُ أنْ تَرى أنَّهُ لَيْسَ هُناكَ أيُّ آثارٍ عَلَيْهِ . »

سَألَهُ هُولمْز : « في أيِّ جانِبَيِ ٱلمَمَرِّ وَجَدْتَ آثارًا عَلى ٱلعُشْبِ ؟ »

أجابَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « في هٰذا ٱلجانِبِ . » وَأشارَ إلى أحَدِ ٱلجانِبَيْنِ

قالَ هُولمْز : « إنَّ ٱلعُشْبَ ضَيِّقٌ هُنا ، وَمَعَ هٰذا أسْتَطيعُ أنْ أرى ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أنْ يَسْلُكَهُ أحَدٌ مِنَ ٱلشَّارِعِ إلى ٱلمَنْزِلِ ؟ »

قالَ سْتانْلي هُوپْكِينْز : « نَعَمْ ، أنا مُتَأكِّدٌ مِنْ هٰذا . »

قالَ هُولمْز : « إذًا فَإنَّ ٱلسَّيِّدةَ لا بُدَّ أنْ تَكونَ قَدْ عادَتْ مِنَ ٱلطَّريقِ نَفْسِهِ أيْضًا . »

قالَ هُوپْكِينْز : « نَعَمْ . »

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ كانَ هٰذا مُنْتَهى ٱلذَّكاءِ مِنْها . لَقَدْ كانَ عَلَيْها أنْ تَمْشِيَ بِمُنْتَهى ٱلحِرْصِ وَٱلحَذَرِ . أنا واثِقٌ مِنْ هٰذا . وَٱلآنَ ، لَقَدْ رَأيْتُ كُلَّ ما أرَدْتُ أنْ أراهُ في ٱلحَديقةِ . فَهَيّا بِنا إلى داخِلِ ٱلمَنْزِلِ . أظُنُّ أنَّ ٱلبابَ ٱلمُؤَدِّيَ إلى ٱلحَديقةِ مَفْتوحٌ دائِمًا ، وَمِنْ ثَمَّ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ عَلَيْها أنْ تَدْخُلَ . »

إسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ : « أنا لا أعْتَقِدُ أنَّهُ كانَ في نِيَّتِها أنْ تَقْتُلَ أحَدًا ، بِدَليلِ أنَّها لَمْ تُحْضِرْ مَعَها سِكِّينًا أوْ مُسَدَّسًا ؛ وَإنَّما لَجَأتْ إلى ٱسْتِخْدامِ سِكِّينِ ٱلبْرُوفيسُّور ٱلَّذي وَجَدَتْهُ عَلى ٱلمِنْضَدةِ . »

لَمّا دَخَلْنا ٱلمَنْزِلَ قالَ هُولمْز : « لَقَدْ مَرَّتْ في هٰذا ٱلدِّهْليزِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَتْرُكْ أيَّ أثَرٍ عَلى ٱلأرْضِ . ثُمَّ دَخَلَتْ هٰذِهِ ٱلحُجْرةَ . كَمْ مِنَ ٱلوَقْتِ قَضَتْ هُنا يا تُرى ؟ هَلْ تَعْرِفُ ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « قَضَتْ هُنا بِضْعَ دَقائِقَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، فَالطَّاهِيةُ تَقولُ

إنَّها كانَتْ تَقومُ بِالتَّنْظيفِ هُنا قَبْلَ مَقْتَلِ السَّيِّدِ سْمِيث بِرُبْعِ ساعةٍ فَقَطْ . لَقَدْ نَسيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهٰذا بِالأَمْسِ . »

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ ، إذًا فَهِيَ لَمْ تَقْضِ هُنا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ دَقيقَةً ، وَ لَقَدِ ٱتَّجَهَتْ إلى هٰذا ٱلصُّوانِ ٱلْمُجاوِرِ لِلْمِنْضَدةِ ، إذ إنَّهُ ٱلْقِطْعَةُ ٱلْوَحيدةُ ٱلْمُقْفَلةُ في هٰذِهِ ٱلْحُجْرةِ . فَإذا كانَ في ٱلْحُجْرةِ أَيُّ شَيْءٍ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ فَلابُدَّ أَنْ يَكونَ في هٰذا ٱلصُّوانِ . »

إنْحَنى هُولمْز يَتَأَمَّلُ بابَ ٱلصُّوانِ ، ثُمَّ ٱسْتَوى واقِفًا ، وَ قالَ وَهُوَ يُشيرُ إلى ٱلْبابِ : « أُنْظُرْ . هُنا خَدْشٌ صَغيرٌ عَلى ٱلْقُفْلِ ٱلنُّحاسِيِّ بِجِوارِ ثُقْبِ ٱلْمِفْتاحِ ، لِماذا لَمْ تُخْبِرْني بِذٰلِكَ يا هُوپْكِينْز ؟ »

قالَ ضابِطُ ٱلمباحِثِ : « لَمْ يَخْطِرْ بِبالي أَنَّ لِلأَمْرِ أَهَمِّيَّةً ، فَهُناكَ دائِمًا مِثْلُ هٰذِهِ ٱلْخُدوشِ بِقُرْبِ ثُقوبِ ٱلْمَفاتيحِ . »

قالَ هُولمْز : « أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّ هٰذا ٱلْخَدْشَ حَديثٌ جِدًّا . وَ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَدَثَ بِالأَمْسِ فَقَطْ . هَلِ ٱلسَّيِّدَةُ مارْكَر هُنا ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « نَعَمْ ، ها هِيَ ذي . »

سَأَلَها هُولمْز : « هَلْ رَأَيْتِ هٰذا ٱلْخَدْشَ بِالأَمْسِ عِنْدَما نَظَّفْتِ ٱلْحُجْرةَ ؟ »

قالَتْ : « لا ، لَمْ أَرَهُ . »

قالَ هُولمْز : « أَنا واثِقٌ مِنْ أَنَّكِ لَمْ تَرَيْهِ ، وَ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلشَّخْصَ ٱلَّذي قَتَلَ

ٱلسَّيِّدَ سْمِيث هُوَ ٱلَّذي أَحْدَثَهُ . مَعَ مَنْ كانَ مِفْتاحُ هٰذا ٱلْقُفْلِ ؟ »

أَجابَتِ ٱلسَّيِّدةُ مارْكَر : « مَعَ ٱلبروفيسُور ، وَهُوَ يَحْتَفِظُ بِهِ مَعَهُ في مُخْدَعِهِ . »

كانَ ٱلسُّؤالُ ٱلتَّالي لِهُولمْز هُوَ : « هَلْ هُوَ مِفْتاحٌ عادِيٌّ ؟ »

قالَتِ ٱلخادِمةُ : « لا ، إنَّهُ مِفْتاحٌ مَتينٌ . إنَّهُ لَيْسَ مِفْتاحًا عادِيًّا . »

هُنا أَذِنَ هُولمْز لِلسَّيِّدةِ مارْكَر بِالإنْصِرافِ ، وَ بَعْدَ مُغادَرَتِها ٱلْحُجْرةَ قالَ لَنا : « ٱلآنَ نَعْرِفُ ما حَدَثَ ، فالسَّيِّدةُ جاءَتْ إلى هٰذِهِ ٱلْحُجْرةِ ثُمَّ ٱتَّجَهَتْ إلى ٱلصُّوانِ وَ حاوَلَتْ فَتْحَهُ ، وَ قَدْ حَضَرَ سْمِيث بَيْنَما كانَتْ في مُحاوَلَتِها ؛ فَسارَعَتْ تُحاوِلُ إخْراجَ ٱلْمِفْتاحِ مِنَ ٱلْقُفْلِ . وَ نَظَرًا لِأَنَّها كانَتْ مُتَعَجِّلةً ؛ فَقَدْ أَحْدَثَتْ هٰذا ٱلْخَدْشَ . وَ حينَ ٱتَّجَهَ سْمِيث إلَيْها ٱلْتَقَطَتِ ٱلسِّكّينَ . وَ لَمّا حاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِها ؛ طَعَنَتْهُ بِهِ فَسَقَطَ عَلى ٱلأَرْضِ ، أَمّا هِيَ فَقَدْ جَرَتْ خارِجَ ٱلْحُجْرةِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ نَظّارَتَها . وَ كانَ أَمامَها دِهْليزانِ لِلْخُروجِ : أَحَدُهُما يُؤَدّي إلى ٱلبابِ ٱلْخَلْفِيِّ ، وَٱلآخَرُ إلى بابِ ٱلبروفيسُور ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « بَلى ، وَ لَيْسَ هُناكَ طَريقٌ إلى خارِجِ ٱلْمَنْزِلِ عَبْرَ ٱلدِّهْليزِ ٱلآخَرِ . »

قالَ هُولمْز : « هَيّا لِنَرى ٱلبروفيسُور . »

ذَهَبْنا عَبْرَ ٱلدِّهْليزِ إلى حُجْرَةِ ٱلبروفيسُور ، وَنَظَرَ هُولمْز إلى جُدْرانِ ٱلدِّهْليز وأُرْضِيَّتِهِ وَسَأَلَ : « هَلْ تُلاحِظُ أيَّ شَيْءٍ غَريبٍ في هٰذا ٱلدِّهْليز أيُّها ٱلضّابِطُ ؟ »

قالَ هُولمْز : « هٰذا ما أعْنيهِ . فالجُدْرانُ وَٱلأرْضِيَّةُ في هٰذا ٱلدِّهْليز تُماثِلُ تَمامًا نَظائِرَها في ٱلدِّهْليزِ ٱلآخَر . »

سَأَلَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « وَهَلْ لِهٰذا أهَمِّيَّةٌ ؟ »

أجابَ هُولمْز : « رُبَّما كانَ ٱلأمْرُ كَذٰلِكَ ، وَلٰكِنّي لَسْتُ مُتأكِّدًا مِنْهُ بَعْدُ . »

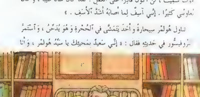
الفَصْلُ ٱلثّالِثُ

دَخَلْنا حُجْرَةَ ٱلبْرُوفيسُور ، وَكانَتْ واسِعَةً ، تُغَطّي جُدْرانَها ٱلكُتُبُ . وكانَتِ ٱلكُتُبُ مِنَ ٱلكَثْرَةِ بِحَيْثُ كانَ بَعْضُها مُكَدَّسًا فَوْقَ ٱلأرْضِ أمامَ ٱلرُّفوفِ ، وَكانَ ٱلبروفيسُور راقِدًا عَلى سَريرِهِ ٱلَّذي يَتَوَسَّطُ ٱلحُجْرَة . كانَ شَعْرُهُ أبْيَضَ ، وَلَهُ لِحْيَةٌ كَبيرَةٌ بَيْضاءُ . وَلٰكِنَّها كانَتْ صَفْراءَ قَذِرَةً في ٱلجُزْءِ ٱلقَريبِ مِنْ فَمِهِ ، وكانَ يُدَخِّنُ سيجارَةً ، وَقَدِ ٱنْتَشَرَتْ رائِحَةُ ٱلتَّبْغِ في ٱلحُجْرَةِ . وَكانَتْ هُناكَ عُلَبُ سَجائِرَ كَثيرَةٌ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ ، وَعِنْدَما نَظَرْتُ إلى يَدِهِ لاحَظْتُ أنَّها صَفْراءُ مِنْ أثَرِ ٱلتَّبْغِ .. تَمامًا مِثْلُ لِحْيَتِهِ .

حَيّا ٱلبُرُوفيسُور هُولمْز ثُمَّ سَأَلَهُ : « هَلْ تُدَخِّنُ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ لَدَيَّ

أنواعٌ فاخِرَةٌ مِنَ ٱلسَّجائِرِ . إنّي أُدَخِّنُ عَدَدًا كَبيرًا مِنْها ، فَالتَّدْخينُ مِنَ ٱلمُتَعِ القَليلَةِ ٱلّتي تَجْلُبُ لِيَ ٱلسَّعادَةَ . إنَّني أجِدُ صُعوبَةً في ٱلمَشْيِ ، وَكَذٰلِكَ لا أسْتَطيعُ ٱلخُروجَ ، وَحَسْبي أنّي أجِدُ هُنا عَمَلي وَسَجائِري . وَٱلآنَ ، وَبَعْدَ مَوْتِ سْميث ، لَنْ أكونَ قادِرًا عَلى ٱلعَمَلِ . لَقَدْ كانَ شابًّا طَيِّبًا ، وَكانَ يُعاوِنُني كَثيرًا . إنّي آسِفٌ لِما أصابَهُ أشَدَّ ٱلأسَفِ . »

تَناوَلَ هُولمْز سيجارَةً وَأخَذَ يَتَمَشّى في ٱلحُجْرَةِ وَهُوَ يُدَخِّنُ ، وَٱسْتَمَرَّ ٱلبْرُوفيسُور في حَديثِهِ فَقالَ : « إنّي سَعيدٌ بِمَجيئِكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَأنا



وانِقٌ مِنْ أَنَّكَ سَوْفَ تُساعِدُنا . »

لاحَظْتُ أَنَّ هُولمْز يُدَخِّنُ بِسُرْعَةٍ تَتَجاوَزُ عادَتَهُ في التَّدْخِينِ . فَقَدْ دَخَّنَ أَرْبَعَ سَجائِرَ قَبْلَ أَنْ يَكُفَّ البُروفيسُور عَنِ الحَدِيثِ ، وَقالَ لِلبُروفيسُور : « أَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ كُنْتَ في فِراشِكَ حِينَما قُتِلَ سْمِيث ، لِذٰلِكَ فَأَنْتَ لا تَعْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ الحادِثِ ، وَلٰكِنْ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَني ماذا كانَتْ تَعْني آخِرُ كَلِماتٍ تَفَوَّهَ بِها ، وَهِيَ البُروفيسُور ... إِنَّها هِيَ .. ؟ »

قالَ البروفيسُور : « لا ، لا أَسْتَطِيعُ . وَلٰكِنْ لا تَنْسَ أَنَّ سُوزان تارلْتُون مُجَرَّدُ فَتاةٍ صَغِيرَةٍ . وَلَعَلَّها لَمْ تَسْتَمِعْ جَيِّدًا إِلى ما نَطَقَ بِهِ . إِنَّني مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ بِوُضُوحٍ . لا تَنْسَ أَنَّهُ كانَ يُحْتَضَرُ . »

كانَ السُّؤالُ التَّالي لِهُولمْز هُوَ : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفَكِّرَ في أَيِّ سَبَبٍ لِقَتْلِهِ ؟ »

أَجابَهُ البُروفيسُور : « إِنَّ الَّذي سَأَقولُهُ إِنَّما أَقولُهُ لَكَ أَنْتَ ، وَلَيْسَ لِأَيِّ أَحَدٍ غَيْرِكَ ، ذٰلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَحْسُنُ قَوْلُهُ . أَنا لا أُرِيدُ أَنْ يُسِيءَ النَّاسُ الظَّنَّ بِالسَّيِّدِ سْمِيث ، وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ انْتَحَرَ . وَأَظُنُّ أَنَّهُ كانَ عاشِقًا : لَقَدْ كانَ يَحْتَفِظُ بِنَظّارَةِ إِحْدى السَّيِّداتِ ، وَلَعَلَّهُ كانَ مَشْغوفًا بِحُبِّها ، وَلٰكِنَّها لَمْ تُبادِلْهُ الحُبَّ فَانْتَحَرَ . إِنَّ كَثيرًا مِنَ النَّاسِ يَنْتَحِرونَ لِهٰذا السَّبَبِ . »

بَدَتْ عَلى هُولمْز الدَّهْشَةُ حِينَما سَمِعَ هٰذِهِ الفِكْرَةَ ، فَأَخَذَ يُفَكِّرُ وَيَتَمَشّى في الحُجْرَةِ جِيئَةً وَذَهابًا وَهُوَ صامِتٌ . وَأَخِيرًا خاطَبَ

البُروفيسُور قائِلًا : « ماذا في الصُّوانِ المَوْجُودِ في الحُجْرَةِ الَّتي ماتَ فيها سْمِيث ؟ »

أَجابَ البُروفيسُور : « لا شَيْءَ مِمَّا يُغْري لِصًّا يا سَيِّدُ هُولمْز . مُجَرَّدُ أَوْراقٍ وَرَسائِلَ مِنْ زَوْجَتي المِسْكِينَةِ . إِنَّها الآنَ في عِدادِ الأَمْواتِ .. تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى ما في الصُّوانِ إِذا شِئْتَ . هاكَ المِفْتاحَ . »

تَناوَلَ هُولمْز المِفْتاحَ وَأَمْعَنَ النَّظَرَ فيهِ بُرْهَةً ثُمَّ قالَ : « لا ، لَسْتُ أَعْتَقِدُ أَنِّي في حاجَةٍ إِلى إِلْقاءِ نَظْرَةٍ عَلى ما في الصُّوانِ ، وَلَعَلَّكَ عَلى صَوابٍ فيما قُلْتَ عَنْ سْمِيث يا بُروفيسُور كُوارم . وَلَسَوْفَ أُفَكِّرُ في وِجْهَةِ نَظَرِكَ ، وَرُبَّما كَوَّنْتُ رَأْيًا في القَضِيَّةِ أَعْرِضُهُ عَلَيْكَ بَعْدَ أَنْ أَتَناوَلَ بَعْضَ الطَّعامِ . سَأَراكَ ثانِيَةً ، وَلٰكِنِّي لَنْ أَحْضُرَ قَبْلَ السّاعَةِ الثّانِيَةِ . فَأَنا واثِقٌ أَنَّكَ في حاجَةٍ إِلى شَيْءٍ مِنَ الرّاحَةِ . »

بَدا البُروفيسُور مَسْرورًا حِينَما قالَ هُولمْز ذٰلِكَ ، فَعَقَّبَ قائِلًا : « نَعَمْ إِنِّي مُرْهَقٌ ، فَأَرْجو أَلّا تَحْضُرَ إِلَيَّ حَتّى السّاعَةِ الثّانِيَةِ ، فَإِنَّني أُرِيدُ أَنْ أَخْلُوَ إِلى نَفْسي . »

أَخَذْنا نَتَمَشّى – أَنا وَهُولمْز – في الحَدِيقَةِ . وَلَمْ يَكُنْ يَبْدو سَعِيدًا وَلا مُهْتَمًّا بِالقَضِيَّةِ ، فَسَأَلْتُهُ : « أَتَظُنُّ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُكَوِّنَ رَأْيًا في القَضِيَّةِ الآنَ يا هُولمْز ؟ »

أَجابَ : « لَسْتُ مُتَأَكِّدًا ، وَلٰكِنْ هٰذِهِ السَّجائِرُ الَّتي دَخَّنْتُها رُبَّما

تُساعِدُنا . »

قُلْتُ لَهُ : « أَحَقًّا ؟ كَيْفَ ؟ »

قالَ : « سَوْفَ تَرى فيما بَعْدُ ، أَمّا الآنَ فَها هِيَ ذي السَّيِّدَةُ ماركَر . سَوْفَ أَتَحَدَّثُ إِلَيْها لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ . »

أَخَذَ يَتَحَدَّثُ مَعَ الطّاهِيَةِ ، فَقالَ لَها : « أَظُنُّ أَنَّ البروفيسور لا يُقْبِلُ عَلى الطَّعامِ كَثيرًا ، فَقَدْ جَرَتِ العادَةُ أَنَّ أُولئِكَ الَّذينَ يُدَخِّنونَ كَثيرًا ، يَأْكُلونَ قَليلًا . وَاليَوْمَ رَأَيْتُهُ يُدَخِّنُ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ السَّجائِرِ ، وَلِذٰلِكَ فَهُوَ لَمْ يَرْغَبْ في تَناوُلِ أَيِّ إِفْطارٍ . »

رَدَّتِ الطّاهِيَةُ : « أَنْتَ مُخْطِئٌ يا سَيِّدي . لَقَدْ تَناوَلَ إِفْطارًا كَبيرًا ، ثُمَّ طَلَبَ مِنّي أَنْ أُعِدَّ لَهُ وَجْبَةً أُخْرى . إِنَّ هٰذا يُحَيِّرُني ، فَأَنا حينَ عَلِمْتُ أَنَّ السَّيِّدَ سْميث المِسْكينَ قَدْ ماتَ فَقَدْتُ شَهِيَّتي لِلأَكْلِ . إِنَّ البروفيسور رَجُلٌ غَريبٌ . »

بَعْدَ هٰذا لَمْ يَتَحَدَّثْ هولمز كَثيرًا . وَبَدا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ ما يَسْتَحِقُّ اهْتِمامَهُ ، وَكانَ الشَّخْصُ الوَحيدُ الَّذي اسْتَمَعَ إِلَيْهِ هولمز هُوَ سوزان الخادِمَةَ ، وَقَدْ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ السَّيِّدَ سْميث كانَ قَدْ خَرَجَ إِلى القَرْيَةِ في الصَّباحِ قَبْلَ أَنْ يَلْقى مَصْرَعَهُ بِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ .

في السّاعَةِ الثّانِيَةِ قالَ هولمز : « أَيُّها السّادَةُ ، لَقَدْ حانَ الوَقْتُ لِكَيْ نَذْهَبَ وَنَرى البروفيسور ثانِيَةً . »

كانَ الرَّجُلُ المُسِنُّ قَدِ انْتَهى لِتَوِّهِ مِنْ طَعامِهِ حينَما دَخَلْنا ، وَكانَتِ

الصُّحونُ نظيفةٌ ، فقَدْ أتى على كُلِّ ما كانَ فيها مِنْ طَعامٍ ، وَكانَ يَجْلِسُ في انْتظارِنا على كُرْسيِّ ، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ تَدْخينِ سيجارةٍ وَبَدَأَ يُدَخِّنُ أُخْرى .

قالَ : « أَخْبِرْني يا سَيِّدُ هُولْمز ، هَلْ وَجَدْتَ حَلًّا لِلْقَضِيَّةِ ؟ »

أزاحَ عُلْبَةَ السَّجائرِ تجاهَ هُولمز الَّذي مدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ واحدةً . وَلٰكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذٰلِكَ رفعَ العُلبَةَ عنِ المِنْضَدةِ لِيسقُطَ جميعُ السَّجائرِ على الأرْضِ ، وَسارعْنا أنا وَهُولمز وَسْتانلي هُوبْكِنْز ، فَانْحنَيْنا إلى الأرْضِ لِنَلْتقطَ السَّجائرَ . وَعِنْدما انْتَهَيْنا مِنْ جمعِها نهضَ هُولمز وقالَ لِلبْروفيسُور كُورام :

« نَعَمْ ، لَقَدْ وَجَدْتُ الحَلَّ . »

صاحَ البْروفيسُور كُورام : « أحقًّا ؟ أيْنَ وَجَدْتَهُ ؟ في الحَديقةِ ؟ »

كانَ الغَضَبُ بادِيًا على وَجْهِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إلى هُولمز ، فَقالَ صَديقي : « لا ، إنَّ الحَلَّ هُنا في حُجْرَتِكَ . »

قالَ البْروفيسُور: « مَتى وَجَدْتَ هٰذا الحَلَّ ؟ »

قالَ هُولمز : « مُنْذُ دَقيقتَيْنِ . »

حينَئِذٍ قالَ البْروفيسُور : « أنا واثِقٌ أنَّكَ لَسْتَ جادًّا يا سَيِّدُ هُولمز . إنَّها قضيَّةٌ لَها أهَمِّيَّتُها . لَقَدْ ماتَ سْمِيث ، فَبِاللهِ عَلَيْكَ لا تَكُنْ هازِلًا . »

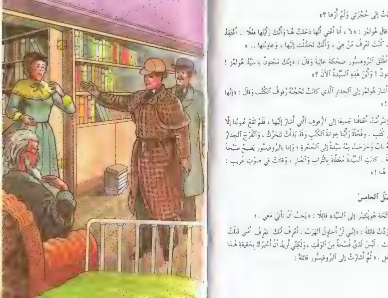
قالَ هُولمز : « إنِّي لا أهْزِلُ . إنِّي واثِقٌ مِمَّا أقولُ . صَحيحٌ أنِّي لا أعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدُ ، ولٰكِنِّي أعْلَمُ أنَّكَ فعَلْتَ أمْرًا سَيِّئًا ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِما أعْتَقِدُهُ :

« بالأمْسِ جاءَتْ سَيِّدةٌ إلى مَنْزِلِكَ ، وَاتَّجَهَتْ إلى الحُجْرةِ الَّتي بِها الصُّوانُ . وَكانَتْ قَدْ أحْضَرَتْ مَعَها مِفْتاحَها الخاصَّ ، وَأرادَتْ أنْ تَفْتَحَ الصُّوانَ . وَلٰكِنَّ المِفْتاحَ كانَ جَديدًا حادَّ السِّنِّ ، فَتَرَكَ أثَرًا على القُفْلِ النُّحاسِيِّ لِبابِ الصُّوانِ ، وَحينَما أعْطَيْتَني مِفْتاحَكَ هٰذا الصَّباحَ لاحَظْتُ أنَّ سِنَّهُ لَيْسَتْ حادَّةً ، وَمَعْنى هٰذا أنَّ السَّيِّدةَ لَمْ تَسْتَخْدِمْ مِفْتاحَكَ ، وَلِذٰلِكَ أعْتَقِدُ أنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِمَقْدَمِها إلى المَنْزِلِ . وَأعْتَقِدُ أنَّ قُدومَها كانَ بِقَصْدِ سَرِقَةِ شَيْءٍ ما مِنَ الصُّوانِ . »

قالَ كُورام : « كُلُّ هٰذا شائِقٌ جِدًّا . وَلٰكِنْ لَعَلَّكَ تَسْتَطيعُ أنْ تُخْبِرَنا بِالمَزيدِ . تُرى ما الَّذي حَدَثَ لِهٰذِهِ السَّيِّدةِ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ »

أجابَ هُولمز : « سَأُحاوِلُ أنْ أُخْبِرَكَ : لَقَدْ جاءَ سِكْرِتيرُكَ إلى الحُجْرةِ وَفاجَأَها هُناكَ ؛ فَقَتَلَتْهُ . وَأعْتَقِدُ أنَّ ذٰلِكَ كانَ غَلْطةً ، فَلَوْ أنَّها كانَتْ قَدْ بَيَّتَتِ النِّيَّةَ عَلى قَتْلِ أحَدٍ لَكانَتْ قَدْ أحْضَرَتْ مَعَها سِكِّينًا . وَلَقَدْ فَقَدَتِ السَّيِّدةُ نَظّارَتَها في العِراكِ الَّذي حَدَثَ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ مُضْطَرَّةً إلى الهُروبِ عَلى عَجَلٍ . وَنَظَرًا لِضَعْفِ بَصَرِها فَقَدِ ارْتَكَبَتْ غَلْطةً ثانِيةً إذْ سَلَكَتْ حينَ أرادَتِ الخُروجَ طَريقَ الدِّهْليزِ غَيْرِ المُناسِبِ . وَكانَ مِنَ اليَسيرِ أنْ تَرْتَكِبَ هٰذِهِ الغَلْطةَ بِسَبَبِ أنَّ الدِّهْليزَيْنِ يَتَشابَهانِ في لَوْنِ الجُدْرانِ وَالأرْضِيَّةِ . وَلِذٰلِكَ لَمْ تَتَّجِهْ إلى البابِ الخَلْفِيِّ كَما كانَتْ تَأْمُلُ ، وَإنَّما اتَّجَهَتْ إلى حُجْرَتِكَ يا بْروفيسُور . »

صاحَ البْروفيسُور وَقَدِ امْتُقِعَ وَجْهُهُ وَبَدا عَلَيْهِ الفَزَعُ : « هَلْ تَعْني أنَّها



جاءَتْ إلى حُجْرَتي وَلَمْ أَرَها ؟»

قالَ هُولمْز : «لا ، أنا أعْني أَنَّها دَخلتْ هُنا وَأَنْتَ رَأَيْتَها فِعْلًا .. أَعْتَقِدُ أَنَّكَ كُنْتَ تَعْرِفُ مَنْ هِيَ ، وَأَنَّكَ تَحَدَّثْتَ إلَيْها ، وَعاوَنْتَها .. »

أَطْلَقَ ٱلبرُوفِسُور ضَحْكَةً عالِيَةً وَقالَ : «إنَّكَ مَجْنونٌ يا سَيِّدُ هُولمْز ! مَجْنونٌ ! وَأَيْنَ هٰذِهِ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلآنَ ؟»

أَشارَ هُولمْز إلى ٱلجِدارِ ٱلَّذي كانَتْ تَحْجُبُهُ رُفوفُ ٱلكُتُبِ وَقالَ : «إنَّها هُنا !»

اِشْرَأَبَّتْ أَعْناقُنا جَميعًا إلى ٱلرُّفوفِ ٱلَّتي أَشارَ إلَيْها ، فَلَمْ تَقَعْ عُيونُنا إلّا عَلى كُتُب . وَفَجْأَةً رَأَيْنا خِزانَةَ ٱلكُتُبِ وَقَدْ بَدَأَتْ تَتَحَرَّكُ ، وَٱنْفَرَجَ ٱلجِدارُ كَأَنَّهُ بابٌ وَخَرَجَتْ مِنْهُ سَيِّدَةٌ إلى ٱلحُجْرَةِ ؛ وَإذا بِالبرُوفِيسُور يَصيحُ صَيْحَةً عالِيَةً . كانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ مُغَطّاةً بِالتُّرابِ وَٱلغُبارِ ، وَقالَتْ في صَوْتٍ غَريبٍ : «أَنا هُنا !»

الفَصْلُ ٱلخامِسُ

ٱتَّجَهَ هُوبكِينْز إلى ٱلسَّيِّدَةِ قائِلًا : «يَجِبُ أَنْ تَأْتِي مَعي .»

رَدَّتْ قائِلَةً : «إنّي لَنْ أُحاوِلَ ٱلهَرَبَ . أَعْرِفُ أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنّي قَتَلْتُ سْمِيث . لَيْسَ لَدَيَّ فُسْحَةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ ، وَلٰكِنّي أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِحَقيقَةِ هٰذا ٱلرَّجُلِ .» ثُمَّ أَشارَتْ إلى ٱلبرُوفِيسُور قائِلَةً :

«إِنَّهُ لَيْسَ إِنجليزيًّا. وَلَنْ أَذْكُرَ لَكَ آسْمَهُ، فَذٰلِكَ لَيْسَ ضَرورِيًّا.»

بَدا عَلى وَجْهِ ٱلبروفيسُور شَيْءٌ مِنَ ٱلرِّضا حينَما قالَتْ ذٰلِكَ، وقالَ لَها: «شُكْرًا لَكِ يا أَنَّا ... شُكْرًا لَكِ.»

نَظَرَتِ ٱلمَرْأَةُ إِلَيْهِ في غَضَبٍ وَمَضَتْ تَقولُ: «لِماذا تُريدُ أَنْ تَعيشَ؟ إِنَّ حَياتَكَ لا شَيْءَ؛ فَأَنْتَ لَسْتَ إِنْسانًا. أَيُّها ٱلسَّادَةُ إِنَّني زَوْجَةُ هٰذا ٱلرَّجُلِ، وَكُنَّا نَعيشُ في إِحْدى ٱلمُدُنِ بِبِلادِنا.

«كُنَّا نُناضِلُ لِنَجْعَلَ مِنْ بَلَدِنا مَكانًا أَفْضَلَ. وَكانَ لَنا أَصْدِقاءُ، وَأَرادَتِ ٱلشُّرْطَةُ أَنْ تَعْتَقِلَنا وَتَزُجَّ بِنا في غَياهِبِ ٱلسُّجونِ أَوْ تَقْتُلَنا، فَقَرَّرْنا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدَ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ لِكَيْ نُظْهِرَ أَنَّنا أَقْوِياءُ. وَحاوَلَتِ ٱلشُّرْطَةُ أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَيْنا، فَلَمَّا عَجَزَتْ أَعْلَنَتْ عَنْ مُكافَأَةٍ مالِيَّةٍ سَخِيَّةٍ تُقَدِّمُها لِمَنْ يُرْشِدُ إِلى ٱلَّذي قَتَلَ رَجُلَ ٱلشُّرْطَةِ.

«كانَ زَوْجي هُوَ ٱلَّذي أَرْشَدَ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ إِلى آسْمِ ٱلقاتِلِ، وَحَصَلَ عَلى ٱلمُكافَأَةِ. وَقَدْ أَدَّتْ هٰذِهِ ٱلوِشايَةُ إِلى وُقوعِ أَكْثَرِنا في قَبْضَةِ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ، فَقُتِلَ بَعْضُنا، وَزُجَّ بِبَعْضِنا في ٱلسُّجونِ، وَكُنْتُ مَحْظوظَةً.. إِذْ حُكِمَ عَلَيَّ بِالسِّجْنِ عَشَرَةَ أَعْوامٍ. وَكانَ مِنْ بَيْنِنا شابٌّ يُدْعى أَلِيكْسِيس، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ أَنْ نَقْتُلَ ٱلشُّرْطِيَّ. حاوَلَ جَهْدَهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَتْلِهِ، وَكَتَبَ إِلَيَّ رَسائِلَ يُناشِدُني فيها أَنْ أُقْنِعَ أَصْدِقاءَنا بِتَغْييرِ ٱلخُطَّةِ. وَلٰكِنَّ زَوْجي كانَ يَتَلَقَّى هٰذِهِ ٱلرَّسائِلَ وَيُخْفيها عَنِّي، فَقَدْ أَرادَ لِأَلِيكْسِيس أَنْ يَموتَ. وَكانَ أَلِيكْسِيس مَحْظوظًا فَلَمْ يَقْتُلوهُ وَإِنَّما حَكَموا عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ

مُدَّةً طَويلَةً جِدًّا، وَلا يَزالُ في ٱلسِّجْنِ حَتَّى ٱلْيَوْمِ. وَسَوْفَ يَظَلُّ فيهِ عِشْرينَ عامًا عَلى ٱلأَقَلِّ.»

نَظَرَتْ إِلى ٱلبروفيسُور في غَضَبٍ شَديدٍ وَقالَتْ: «نَعَمْ إِنَّهُ في ٱلسِّجْنِ، وَأَنْتَ هُنا طَليقٌ أَيُّها ٱلحَقيرُ.»

كانَ وَجْهُ ٱلسَّيِّدَةِ مُمْتَقِعًا، وَبَدَتْ واهِيَةً مَريضَةً. قالَتْ: «لا بُدَّ أَنْ أُنْهِيَ كَلامي بِسُرْعَةٍ. لَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ ٱلسِّجْنِ في ٱلعامِ ٱلماضي، وَأَرَدْتُ ٱلحُصولَ عَلى ٱلرَّسائِلِ ٱلَّتي كانَ أَلِيكْسِيس قَدْ بَعَثَ بِها إِلَيَّ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِذا ٱطَّلَعَتِ ٱلشُّرْطَةُ عَلَيْها، فَسَوْفَ تَعْرِفُ أَنَّ أَلِيكْسِيس حاوَلَ أَنْ يَمْنَعَنا مِنْ قَتْلِ رَجُلِ ٱلشُّرْطَةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ يُطْلِقونَ سَراحَهُ.

«لَقَدْ جِئْتُ إِلى انْجِلْتِرا لِلْبَحْثِ عَنْ زَوْجي، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَيْنَ يُقيمُ، وَقَضَيْتُ وَقْتًا طَويلًا حَتَّى آسْتَطَعْتُ أَنْ أَهْتَدِيَ إِلى يُوكْسلي أُولْد بْليس. وَحينَ آهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ أَرْسَلْتُ رَجُلًا إِلى هُنا. وَهُوَ ٱلسِّكْرِتيرُ ٱلأَوَّلُ ٱلَّذي عَمِلَ هُنا قَبْلَ سْمِيث، وَقَدِ ٱكْتَشَفَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَكانَ ٱلَّذي يَحْتَفِظُ فيهِ زَوْجي بِالرَّسائِلِ، وَصَنَعَ مِفْتاحًا جَديدًا وَجاءَ بِهِ إِلَيَّ، وَلٰكِنَّهُ تَخَلَّى عَنْ مُساعَدَتي بَعْدَ ذٰلِكَ، إِذِ آعْتَقَدَ أَنَّني أُريدُ أَنْ أَقْتُلَ زَوْجي، وَلِذٰلِكَ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَحْضُرَ بِنَفْسي. وَفي طَريقي إِلى ٱلمَنْزِلِ ٱلْتَقَيْتُ ٱلسَّيِّدَ سْمِيث، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَعْمَلُ مَعَ زَوْجي، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَكانِ إِقامَةِ ٱلبروفيسُور.»

قالَ هُولْمز: «نَعَمْ، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عادَ إِلى هُنا وَأَخْبَرَ ٱلبروفيسُور أَنَّهُ قابَلَكِ، وَذٰلِكَ هُوَ ٱلسَّبَبُ في أَنَّهُ قالَ قَبْلَ أَنْ يَموتَ: «البروفيسُور .. إِنَّها هِيَ ..»

لقد كان يَعنيكِ أُخت السيدة التي كان قد تحدث إليها في ذلك الصباح.»

قالت السيدة، وقد بدا وجهها أكثر شحوبًا وامتقاعًا من ذي قبل:

«لا بد أن تدعني أتم حديثي. إنني لم أكن أريد أن أقتل سميث، وإنما ضربته بالسكين لأنه كان الشيء الوحيد فوق المنضدة.. كان أول شيء وقعت عليه عيناي. وبعد أن طعنته جريت إلى خارج الحجرة، ولكنني كنت قد فقدت نظارتي فارتكبت غلطة، إذ لم أكن قادرة على الرؤية بوضوح. وهكذا لم أسلك الدهليز المناسب، ووجدت نفسي أدخل هذه الحجرة.

«وحين رآني زوجي أصابه الذعر والغضب، وهدد بأنه سوف يسلمني إلى الشرطة، وكنت أعلم أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك. ولو فعل لاستطاع الآخرون أن يهتدوا إلى مكانه، ولقتلوه.

«كنت أريد أن أهرب لكي أنقذ أليكسيس. أما زوجي فكان يريدني أن أهرب بسبب خوفه من أصدقائي؛ ولهذا قرر أن يبقيني في هذه الحجرة مستخفية حتى يذهب رجال الشرطة. وهو وحده الذي يعلم أن وراء رفوف الكتب مكانًا سريًا يمكن أن أختبئ فيه، وقد بقيت فيه ساعات طويلة، وكان البروفيسور يطلب كميات من الطعام كبيرة حتى يوفر لي بعضًا منه. وقال إنني أستطيع أن أغادر المنزل بمجرد ذهاب الشرطة. ووعد بأنه لن يبوح بشيء عن الحادث.»

قدمت السيدة لهولمز بعض الأوراق وقالت: «أرجو أن تأخذ هذه إلى

العنوان المبين عليها، فإذا فعلت ذلك فإنهم سوف يطلقون سراح أليكسيس من السجن.. كلمتي الأخيرة يا سيد هولمز.. عليك.. عليك.. أن تساعدني...»

لم تكد السيدة تتم كلامها حتى سقطت على الأرض، فانحنى هولمز بسرعة، وانتزع من يدها زجاجة صغيرة، وكانت فارغة. قال هولمز: «لقد ماتت يا واطسن... لقد تناولت السم قبل أن تخرج من مخبئها.»

الفصل السادس

كانت هناك بعض الإجراءات علينا أن نقوم بها – أنا وهولمز وهوبكينز – في يوكسلي. فلما انتهينا منها سارعنا فأخذنا القطار عائدين إلى لندن. قال هولمز في أثناء السفر:

«في الحقيقة لم تكن هذه القضية صعبة، ولكن كان للنظارة قيمتها في حلها؛ فلولاها لما كنت أستطيع أن أهتدي إلى الحل. لقد كان واضحًا لي أن عيني السيدة كانتا في غاية الضعف. ومن ثم لم تستطع أن تبصر بعد أن فقدت نظارتها. ولو كانت قد هربت من المنزل لتركت أقدامها أثرًا على الممر، ثم أنها لم تكن تستطيع أن تجري على العشب بمحاذاة الممر بدون نظارتها، لأن العشب مزروع على مساحة قليلة العرض، ولو جرت فوقه لسقطت أو وطئت بقدميها الممر، ولهذا تأكد لي أنها لم تغادر المنزل على الإطلاق.

«لقدْ كانَتْ هٰذِهِ أوَّلَ مَرَّةٍ تَدْخُلُ فيها ٱلْمَنْزِلَ ، وَلِذٰلِكَ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ أنْ تَرْتَكِبَ غَلْطَتَها : فَالدِّهْلِيزانِ يَكادانِ يَكونانِ مُتَماثِلَيْنِ . وَقَدْ سَلَكَتْ الدِّهْليزَ ٱلخاطِئَ ، وَلَيْسَ هُناكَ بابٌ في حُجْرَةِ ٱلبْرُوفيسُور يُؤَدّي إلى ٱلحديقةِ ، وَقَدْ قُلْتُ في نَفْسي : لَعَلَّها لا تَزالُ في حُجْرَةِ ٱلبْرُوفيسُور ، ولٰكِنْ أيْنَ ؟ وَتَأَمَّلْتُ في أرْضِيَّةِ ٱلحُجْرَةِ فَوَجَدْتُها مَتينَةً جِدًّا ، وَتَأَكَّدْتُ أنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ هُناكَ مَكانٌ سِرِّيٌّ تَحْتَها . ثُمَّ تَأَمَّلْتُ في رُفوفِ ٱلكُتُبِ ، فَكَثيرًا ما يُوجَدُ مَكانٌ سِرِّيٌّ خَلْفَها في ٱلبُيوتِ ٱلقَديمَةِ . كانَتْ هُناكَ كُتُبٌ على أرْضِ ٱلحُجْرَةِ أمامَ مُعْظَمِ ٱلرُّفوفِ إلّا في مَكانٍ واحِدٍ ، فَأَدْرَكْتُ أنَّ ٱلرُّفوفَ في هٰذا ٱلمَكانِ قَدْ تَنْفَرِجُ كَالبابِ ، وَلِهٰذا تَعَمَّدْتُ أنْ أُدَخِّنَ كَثيرًا مِنَ ٱلسَّجائِرِ وَتَرَكْتُ رَمادَ ٱلتَّبْغِ يَسْقُطُ فَوْقَ ٱلأَرْضِ أمامَ هٰذِهِ ٱلرُّفوفِ . وعِنْدَما خَرَجَتِ ٱلسَّيِّدَةُ مِنْ مَخْبَئِها لِتَتَناوَلَ طَعامَها ، تَرَكَتْ قَدَماها آثارًا فَوْقَ ٱلرَّمادِ . وَلَدى رُجوعِنا إلى ٱلحُجْرَةِ أَسْقَطْتُ عُلْبَةَ ٱلسَّجائِرِ على ٱلأَرْضِ لِكَيْ أُوجِدَ سَبَبًا يَجْعَلُني أَنْحَني لِأَفْحَصَ رَمادَ ٱلتَّبْغِ بِعِنايَةٍ . وَحينَما رَأَيْتُ ٱلآثارَ فَوْقَهُ تَأَكَّدَ لي أنَّها مُسْتَخْفِيَةٌ هُناكَ» .

كانَ ٱلقِطارُ قَدْ وَصَلَ إلى لَنْدَن ، فَقالَ هُولْمز : «وَٱلآنَ يا هُوبْكِنْز .. ها نَحْنُ أُولاءِ في مَحَطَّةِ تشيرِنْغ كْرُوس . أنا أعْلَمُ أنَّكَ يَجِبُ أنْ تَذْهَبَ إلى سْكُوتلانديارْد ، أمّا أنا وَواطْسُن فَعَلَيْنا أنْ نَذْهَبَ إلى مَكانٍ آخَرَ لِنُسَلِّمَ ٱلأَوْراقَ» .



البِنَاءُ ٱلمُخْتَفِي

الفَصْلُ الأَوَّلُ

قالَ لي شِرْلُوك هُولمْز ذاتَ صَباحٍ : « يَبْدو أَنَّهُ لَمْ تَعُدْ هُناكَ قَضايا مُثيرَةٌ في هٰذِهِ ٱلأَيّامِ يا واطْسُن ، وَأَنَّ لَنْدَن أَصْبَحَتْ خالِيَةً مِنَ ٱلتَّشْويقِ . »

قُلْتُ لَهُ : « لَسْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ أَهْلَ لَنْدَن يُوافِقُونَكَ فيما تَقولُ . »

قالَ هُولمْز : « عَلى كُلِّ حالٍ يَنْبَغي أَلّا أُفَكِّرَ في مَصْلَحَتي ٱلخاصَّةِ فَحَسْبُ . » ثُمَّ تَبَسَّمَ وَهُوَ يُزيحُ مَقْعَدَهُ إِلى ما وَراءَ مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ قائِلًا : « إِنَّهُ مِنَ ٱلخَيْرِ لِلجَميعِ أَلّا يَكونَ لِرِجالِ ٱلمَباحِثِ مِنْ أَمْثالي عَمَلٌ يَشْغَلُهُمْ . » وَتَبَسَّمْتُ أَنا كَذٰلِكَ .

لَقَدْ كانَ هُناكَ في ٱلواقِعِ عَمَلٌ دائِبٌ شَغَلَ هُولمْز خِلالَ ٱلأَشْهُرِ ٱلقَليلَةِ ٱلماضِيَةِ . وَلٰكِنْ لابُدَّ أَنْ أَقولَ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ كانَ يَبْدو في غايَةِ ٱلهُدوءِ في ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ ، إِذ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ عَمَلٌ مُثيرٌ يَشْغَلُنا .

عادَ هُولمْز إِلى ٱلجُلوسِ في مَقْعَدِهِ ، وَٱلتَقَطَ صَحيفَتَهُ ٱليَوْمِيَّةَ ، وَكانَ يُوشِكُ أَنْ يَبْدَأَ في قِراءَتِها حينَما سَمِعْنا جَرَسَ ٱلبابِ يَدُقُّ دَقًّا عَنيفًا ، وَسَمِعْتُ ٱلسَّيِّدَةَ هَدْسون تَفْتَحُ ٱلبابَ - وَهِيَ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلَّتي تُعِدُّ لَنا ٱلطَّعامَ ، وَتَقومُ بِأَعْمالِ ٱلنَّظافَةِ . وَلَمْ يَكَدِ ٱلبابُ يُفْتَحُ حَتّى ٱندَفَعَ مِنْهُ إِلى داخِلِ ٱلمَنْزِلِ شَخْصٌ ما ، وَفَتَحَ ٱلبابَ عَلَيْنا وَوَقَفَ أَمامَنا . كانَ يَبْدو عَلى ٱلرَّجُلِ

ٱلفَزَعُ ٱلشَّديدُ ، حَتّى لَقَدِ ٱستَقَرَّ في خاطِري أَنَّهُ هارِبٌ مِنْ أَمْرٍ ما ؛ إِذْ كانَ يَلْهَثُ بِشِدَّةٍ ، وَيَتَنَفَّسُ بِسُرْعَةٍ .

بَدا عَلى ٱلرَّجُلِ فَجْأَةً أَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّنا – أَنا وَهُولمْز – مُنْدَهِشانِ بِسَبَبِ ٱقتِحامِهِ ٱلمَنْزِلَ بِهٰذِهِ ٱلطَّريقَةِ ، لِذٰلِكَ صاحَ قائِلًا :

« أَنا آسِفٌ يا سَيِّدُ هُولمْز . لابُدَّ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ ٱلآنَ .. لا أَسْتَطيعُ ٱلانْتِظارَ .. إِنَّني خائِفٌ جِدًّا .. أَنا جون هِكْتور ماكْفارْلين ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ بِٱسمي . »

قالَ هُولمْز : « اِجْلِسْ هادِئًا يا سَيِّدُ ماكْفارْلين . لا ، لَسْتُ أَعْرِفُ ٱسمَكَ . وَلٰكِنّي أَظُنُّ أَنَّكَ لَسْتَ مُتَزَوِّجًا ، وَأَنَّكَ تَعْمَلُ مُحامِيًا . »

بَدَتْ عَلى ٱلرَّجُلِ ٱلدَّهْشَةُ . كَيْفَ عَرَفَ هُولمْز عَنْهُ ذٰلِكَ ! أَمّا أَنا فَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لِيَبْعَثَ في نَفْسي أَيَّةَ دَهْشَةٍ ، إِذْ كانَ هُولمْز رَجُلَ مَباحِثَ مُمْتازًا ، ولا شَكَّ أَنَّهُ لاحَظَ ثِيابَ ٱلرَّجُلِ ٱلقَذِرَةَ ، وَأَوْراقَ ٱلمُحامينَ ٱلَّتي يَحْمِلُها في يَدِهِ .

أَجابَ ٱلرَّجُلُ : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، هٰذا صَحيحٌ ! وَصَحيحٌ كَذٰلِكَ أَنَّني أَتْعَسُ إِنْسانٍ في لَنْدَن ٱليَوْمَ.أَرْجوكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، لابُدَّ أَنْ تُساعِدَني ، فَأَنا أَعْتَقِدُ أَنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ في طَريقِهِمِ ٱلآنَ لِكَيْ يَعْتَقِلُوني ، وَقَدْ لَمَحْتُ أَحَدَ رِجالِ ٱلمَباحِثِ يَتَعَقَّبُني مِنَ ٱلمَحَطَّةِ حَتّى بابِ مَنْزِلِكَ . أَنا لا يَهُمُّني أَنْ أُساقَ إِلى ٱلسِّجْنِ إِذا ما تَأَكَّدَ لي أَنَّكَ سَوْفَ تَقِفُ إِلى جانِبي . »

قالَ هُولمْز وَهُوَ في غايَةِ ٱلبِشْرِ وَٱلسُّرورِ : « هَلْ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ قادِمونَ ؟ »

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ تَكونَ هُناكَ قَضِيَّةٌ مُثيرَةٌ في ٱلطَّريقِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ هُولمْز ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين ٱلمِسْكينَ فَقالَ :

« أَنا آسِفٌ يا سَيِّدُ ماكْفارْلين إِذْ لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ فيكَ هٰذِهِ ٱللَّحْظَةَ . إِنَّ ٱلأَمْرَ يَبْدو مُثيرًا حَقًّا ، لٰكِنْ لِماذا يَتَعَقَّبُكَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ؟ »

أَجابَ : « إِنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ أَنَّني قَتَلْتُ رَجُلًا ٱسْمُهُ جُوناس أُولْداكْر ، كانَ يُقيمُ في نُورْوُود ٱلدُّنيا . »

اِلْتَقَطَ ٱلزّائِرُ ٱلصَّحيفَةَ ٱليَوْمِيَّةَ بِيَدَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ - وَلَمْ يَكُنْ هُولمْز قَدْ قَرَأَها بَعْدُ وَقالَ : « لَوْ أَنَّكَ تَصَفَّحْتَ صَحيفَتَكَ لَعَرَفْتَ ٱلسَّبَبَ في لُجوئي إِلَيْكَ يا سَيِّدُ هُولمْز . أَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ آمْرِئٍ في لَنْدَن قَدْ أَصْبَحَ يَعْرِفُ ٱسْمِيَ ٱلآنَ . ٱنْظُرْ هُنا في ٱلصَّفَحاتِ ٱلدّاخِلِيَّةِ . » وَأَخَذَ يَقْرَأُ : حَريقٌ في نُورْوُود ٱلدُّنيا . رَجُلٌ ثَرِيٌّ يَخْتَفي . هَلْ هُوَ مَيِّتٌ ؟ هَلْ قُتِلَ ؟

« تَقولُ ٱلصَّحيفَةُ إِنَّ ٱلشُّرْطَةَ تَعْتَقِدُ أَنّي قَتَلْتُ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكْر بِهَدَفِ ٱلِاسْتيلاءِ عَلى مالِهِ . إِنَّ هٰذا ٱلخَبَرَ سَيَقَعُ عَلى أُمِّيَ ٱلمِسْكينَةِ وَقْعَ ٱلصّاعِقَةِ ، وَسَيُسَبِّبُ لَها تَعاسَةً بالِغَةً . ماذا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ؟ »

نَظَرْتُ إِلى ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين مُتَفَحِّصًا . كانَ رَجُلًا أَشْقَرَ ، وَقَدَّرْتُ أَنَّهُ



في حَوالَى ٱلسّابِعَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَبَدا لي مِنْ ثِيابِهِ ٱلأَنيقَةِ أَنَّهُ مَوْفورُ ٱلمالِ .

قالَ هُولمْز يُخاطِبُني : « لَيْسَ لَدَيْنا فُسْحَةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ يا واطْسُن ، فَأَرْجو أَنْ تَقْرَأَ لَنا ما جاءَ في ٱلصَّحيفَةِ عَنِ ٱلحادِثِ . »

قَرَأْتُ فيها ما يَلي : « في ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ - أَوْ ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَباحِ ٱليَوْمِ - وَقَعَ حادِثٌ في ضاحِيَةِ نُورْوُود ٱلدُّنيا . وَتَخْشى ٱلشُّرْطَةُ أَنْ يَكونَ أَحَدُ ٱلرِّجالِ مِنْ ذَوي ٱلمَكانَةِ قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ في هٰذا ٱلحادِثِ .

« إِنَّ جَميعَ سُكّانِ نورْوُد ٱلدُّنيا يَعْرِفونَ ٱسْمَ ٱلسَّيِّدِ جوناس أُولْداكْر ٱلبَنّاءِ ٱلَّذي يَبْلُغُ ٱلثّانِيَةَ وَ ٱلسِّتّينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَ يَعيشُ عَزَبًا (غَيْرَ مُتَزَوِّجٍ) في مَنْزِلِ ديب دين في شارِعِ سيدِنْهام . وَ لَقَدْ كَوَّنَ ٱلسَّيِّدُ جوناس ثَرْوَةً كَبيرَةً مِنْ أَعْمالِهِ في ٱلتَّشْييدِ وَ ٱلبِناءِ مُنْذُ كانَ شابًّا . أَمّا ٱليَوْمَ فَقَدِ ٱعْتَزَلَ ٱلمِهْنَةَ وَ لَمْ يَعُدْ يَعْمَلُ ، وَ لٰكِنَّهُ لا يَزالُ يَحْتَفِظُ في ٱلفِناءِ ٱلخَلْفِيِّ مِنْ مَنْزِلِهِ بِكَمِّيَّةٍ مِنَ ٱلأَخْشابِ .

« في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ – حَوالَى ٱلسّاعَةِ ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ – شَبَّتِ ٱلنّارُ في بَعْضِ هٰذِهِ ٱلأَخْشابِ – أَوْ لَعَلَّ شَخْصًا ما أَشْعَلَ فيها ٱلنّارَ – وَ كانَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ يُخْمَدَ ٱلحَريقُ .

« في ٱلبِدايَةِ ، كانَ ٱلأَمْرُ يَبْدو كَأَنَّهُ حَريقٌ عادِيٌّ ، وَ لٰكِنَّ بَعْضَهُمْ تَنَبَّهَ إِلى أَنَّ صاحِبَ ٱلمَنْزِلِ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ، وَ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَنَمْ في فِراشِهِ ، كَما وُجِدَتْ بَعْضُ أَوْراقٍ هامَّةٍ فَوْقَ مِنْضَدَةٍ في إِحْدى ٱلغُرَفِ ٱلأُخْرى . وَ بَدا كَما لَوْ أَنَّ عِراكًا قَدْ حَدَثَ في هٰذِهِ ٱلغُرْفَةِ ؛ إِذْ كانَتْ هُناكَ عَصًا عَلى ٱلأَرْضِ ، وَ بِجِوارِها بُقَعٌ مِنَ ٱلدِّماءِ .

« لَقَدِ ٱكْتَشَفَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ أَنَّ زائِرًا جاءَ لِزِيارَةِ ٱلسَّيِّدِ أُولْداكْر في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ، وَ هُمْ يَعْتَقِدونَ أَنَّهُ صاحِبُ ٱلعَصا ٱلَّتي وُجِدَتْ عَلى ٱلأَرْضِ ؛ وَ تَبَيَّنَ أَنَّ هٰذا ٱلزّائِرَ يَعْمَلُ مُحامِيًا ، وَ ٱسْمُهُ هِكْتور ماكْفارْلين ، وَ ٱلمُتَوَقَّعُ أَنَّ أَمْرًا مُثيرًا سَوْفَ يَتَكَشَّفُ عَمّا قَريبٍ . »

في أَسْفَلِ ٱلصَّفْحَةِ كانَتْ هُناكَ بَعْضُ مَعْلوماتٍ أُخْرى أُضيفَتْ إِلى ٱلخَبَرِ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَ هِيَ :

« هُناكَ مَنْ يَقولونَ إِنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين قَدْ تَمَّ ٱعْتِقالُهُ ، وَ إِذا لَمْ يَكُنْ قَدِ ٱعْتُقِلَ فَالمُؤَكَّدُ أَنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ يَجِدّونَ في ٱلبَحْثِ عَنْهُ . أَمّا في نورْوُد حَيْثُ وَقَعَ ٱلحادِثُ – فَهُناكَ مَيْلٌ إِلى ٱلِاعْتِقادِ أَنَّ شَيْئًا قَدْ تَمَّ جَرُّهُ فَوْقَ ٱلعُشْبِ مِنَ ٱلمَنْزِلِ إِلى ٱلمَكانِ ٱلَّذي فيهِ ٱلأَخْشابُ .

« يُقالُ إِنَّهُ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ جُثَّةً قَدْ أُحْرِقَتْ مَعَ ٱلأَخْشابِ ، وَ يَبْدو أَنَّ ٱلتَّفْكيرَ يَتَّجِهُ إِلى أَنَّ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكْر قُتِلَ في مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلى خارِجِ ٱلمَنْزِلِ حَيْثُ أُحْرِقَتْ . هٰذا وَ يَتَوَلّى تَحْقيقَ ٱلقَضِيَّةِ ٱلسَّيِّدُ لِيسْتْرِيد ضابِطُ ٱلمَباحِثِ بِاسْكُتْلانْدِيارْد ، وَ نَحْنُ عَلى ثِقَةٍ أَنَّهُ سَوْفَ يَكْشِفُ عَنْ سَبَبِ ما حَدَثَ في وَقْتٍ قَريبٍ . »

كانَ أَوَّلُ سُؤالٍ وَجَّهَهُ شِرْلوك هولمز إِلى ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين هُوَ : « لِماذا لَمْ يَقُمْ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ بِٱعْتِقالِهِ قَبْلَ ذٰلِكَ ؟ » وَ كانَ جَوابُهُ :

« إِنَّني أُقيمُ مَعَ أُمّي وَ أَبي في بَيْتِ تورينغتون في بْلاك هيث . وَ لٰكِنّي لَمْ أَكُنْ في ٱلبَيْتِ في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ، وَ إِنَّما قَضَيْتُ ٱللَّيْلَ في فُنْدُقٍ قَريبٍ مِنْ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ أُولْداكْر في نورْوُد ، حَيْثُ كُنْتُ قَدْ قُمْتُ بِزِيارَةٍ لَهُ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱللَّيْلِ . وَ سَوْفَ تُحاوِلُ ٱلشُّرْطَةُ هٰذا ٱلصَّباحَ أَنْ تَبْحَثَ عَنّي حَيْثُ أُقيمُ ، أَوْ في مَكْتَبي ، وَ لَعَلَّ رَجُلَ ٱلمَباحِثِ ٱلَّذي تَعَقَّبَني يَحْضُرُ إِلى هُنا في أَثَري . »

الفصل الثاني

فجأة رن جرس الباب الخارجي مرة ثانية، وسمعنا السيدة هدسون تأذن لبعض الرجال بالدخول. وانفتح بابنا لنرى صديقنا السيد ليستريد ضابط المباحث باسكتلانديارد يدخل إلى حيث كنا، ونظر ليستريد إلى ماكفارلين وقال: «أنت جون هكتور ماكفارلين، عليك أن تأتي معي لأنك قتلت جوناس أولداكر الليلة الماضية.»

نهض ماكفارلين من مقعده وقد ابيض وجهه، فقال هولمز: «اجلس! وأنت يا سيد ليستريد، أرجو أن تجلس أيضا.»

قال ليستريد: «لكني لا بد أن آخذ معي السيد ماكفارلين.»

رد هولمز: «إن نصف ساعة لن تكون ذات أهمية بالنسبة لك يا سيد



ليستريد. إن السيد ماكفارلين كان يوشك أن يقص علينا ما حدث في الليلة الماضية.»

قال ليستريد: «حسنا يا سيد هولمز! تقديرا لما بيننا من صداقة، ولما قدمت لي من معاونة فيما مضى، سوف أنتظر لمدة نصف ساعة فقط.. لا أكثر.»

قال هولمز: «شكرا لك.»

طلب من السيد ماكفارلين أن يقص علينا ما حدث بالضبط. وبدأ السيد ماكفارلين حديثه فقال.

«حتى صبيحة أمس لم أكن أعرف أي شيء عن السيد أولداكر فيما عدا اسمه؛ فلقد كان صديقا لوالدي، ولا شيء أكثر من ذلك. ولقد أحدثني دهشة شديدة حينما حضر إلى مكتبي بالأمس. وكان معه هذه الأوراق التي ترونها، وقال إنها تتضمن وصيته. وبما أني محام، فقد طلب مني أن أنسخ له صورة مطابقة منها، وأبدى رغبته في أن ينتظر حتى أفرغ من نسخها.

«حين شرعت في العمل سرعان ما تبين لي أنه يريد أن أرث كل أمواله بعد موته، ولم أفهم السبب الذي دعاه إلى هذا التصرف. فلما سألته أجاب بأنه ليس له ولد يرثه، ولما كان صديقا لأبي فقد اتجهت رغبته إلى أن يورثني ماله. وبالطبع، شكرت له هذا العطف الكبير، ولكن دهشتي الشديدة لم تفارقني.

«لَمَّا فَرَغْتُ مِنْ نَسْخِ صورَةِ ٱلْوَصِيَّةِ بِقَدْرِ ما أَمْكَنَني مِنْ سُرْعَةٍ ، طَلَبَ مِنّي أَنْ أَحْضُرَ إلى مَنْزِلِهِ لَيْلًا لِكَيْ يُطْلِعَني عَلى بَعْضِ ٱلْأَوْراقِ ٱلْمُهِمَّةِ . وَكانَ آخِرُ ما قالَهُ لي هُوَ : «أَرْجو أَلّا تُطْلِعَ عَلى هٰذا ٱلْأَمْرِ أُمَّكَ أَوْ أَباكَ ، فَإِنّي أُريدُ أَنْ يَكونَ مُفاجَأَةً لَهُما .»

اسْتَمَرَّ ماكْفارْلين في حَديثِهِ فَقالَ : «لَقَدْ كانَ كَريمًا عَطوفًا مَعي ، حَتّى إِنّي عَزَمْتُ عَلى أَنْ أُنَفِّذَ ما طَلَبَهُ تَمامًا . وَهٰكَذا زَعَمْتُ لِأَبي أَنَّ لَدَيَّ عَمَلًا مُهِمًّا لا بُدَّ أَنْ أُنْجِزَهُ ، وَأَنَّني بِسَبَبِ ذٰلِكَ قَدْ أَتَأَخَّرُ طَويلًا في ٱلْعَوْدَةِ إلى ٱلْبَيْتِ لَيْلًا .

«كانَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر قَدْ دَعاني لِتَناوُلِ ٱلْعَشاءِ مَعَهُ في ٱلسّاعَةِ ٱلتّاسِعَةِ مَساءً ، وَلٰكِنَّ ٱلِاهْتِداءَ إلى مَسْكَنِهِ ٱسْتَغْرَقَ مِنّي وَقْتًا طَويلًا . لِذٰلِكَ لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ إِلّا في ٱلتّاسِعَةِ وَٱلنِّصْفِ . وَحينَما ٱلْتَقَيْتُ بِالسَّيِّدِ أُولْداكَر ...»

هُنا صاحَ شِرْلوك هُولْمز : «مَهْلًا ! مَنِ ٱلَّذي فَتَحَ ٱلْبابَ ؟»

أَجابَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين : «سَيِّدَةٌ عَجوزٌ . أَعْتَقِدُ أَنَّها تَعْمَلُ لَدى ٱلسَّيِّدِ أُولْداكَر .»

سَأَلَهُ هُولْمز : «هَلْ هِيَ ٱلَّتي أَخْبَرَتِ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكَر أَنَّكَ وَصَلْتَ ؟»

أَجابَ : «نَعَمْ ، ثُمَّ أَخَذَتْني إلى حُجْرَةٍ ، حَيْثُ كانَ هُناكَ طَعامٌ بَسيطٌ عَلى ٱلْمائِدَةِ في ٱنْتِظاري ، فَأَكَلْتُ بَعْضًا مِنْهُ ، ثُمَّ أَخَذَني ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر إلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَكانَ فيها صُوانٌ مَتينٌ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كَمِّيَّةً مِنَ ٱلْأَوْراقِ عَكَفْنا

عَلى ٱلْعَمَلِ فيها لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ . وَلَمْ نَنْتَهِ مِنَ ٱلْعَمَلِ إِلّا حَوالَى ٱلسّاعَةِ ٱلْحادِيَةَ عَشْرَةَ وَٱلنِّصْفِ . لِذٰلِكَ قالَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر إِنَّهُ يَحْسُنُ - عِنْدَ مُغادَرَتي - أَنْ أَخْرُجَ بِهُدوءٍ مِنَ ٱلْبابِ ٱلْخَلْفِيِّ ، حَيْثُ إِنَّ ٱلسَّيِّدَةَ ٱلْعَجوزَ نائِمَةٌ .

«حينَما تَأَهَّبْتُ لِلْخُروجِ لَمْ أَجِدْ عَصايَ ، فَقالَ لِيَ ٱلسَّيِّدُ أُولْداكَر : «لا تَدَعْ أَمْرَ ٱلْعَصا يَشْغَلُكَ يا بُنَيَّ . تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِأَخْذِها فيما بَعْدُ ، وَآمُلُ أَنْ تَزورَني مِنْ آنٍ لِآخَرَ مِنَ ٱلْآنَ فَصاعِدًا .»

«عِنْدَما تَرَكْتُهُ كانَ ٱلصُّوانُ مَفْتوحًا ، وَكانَتِ ٱلْأَوْراقُ عَلى ٱلْمِنْضَدَةِ . وَلَمّا كانَ ٱلْوَقْتُ قَدْ تَأَخَّرَ كَثيرًا ، لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلْعَوْدَةَ إلى بْلاك هِيث . وَآثَرْتُ أَنْ أَقْضِيَ بَقِيَّةَ ٱللَّيْلِ في فُنْدُقِ أَنْزِلي آرْمز في نُورْوُد . وَلَمْ أَعْلَمْ شَيْئًا عَنِ ٱلْحادِثِ حَتّى قَرَأْتُ عَنْهُ في صُحُفِ ٱلصَّباحِ .»

تَوَقَّفَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين عَنِ ٱلْحَديثِ ، فَقالَ لِيسْتْرِيد : «هَلْ لَدَيْكَ أَسْئِلَةٌ أُخْرى يا سَيِّدُ هُولْمز ؟»

قالَ هُولْمز : «لا ، وَلٰكِنَّني أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إلى بْلاك هِيث أَوَّلًا .»

سَأَلَهُ لِيسْتْرِيد : «أَلَسْتَ تَعْني نُورْوُد ؟»

أَجابَ هُولْمز وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِلِيسْتْرِيد : «رُبَّما !»

بَدا عَلى ضابِطِ ٱلْمَباحِثِ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ما يُريدُهُ هُولْمز . وَٱلْواقِعُ أَنَّ هُولْمز كانَ ذا قُدْرَةٍ عَلى تَفَهُّمِ ٱلْأَشْياءِ بِأَسْرَعَ مِمّا يَسْتَطيعُ لِيسْتْرِيد . وَكانَ لِيسْتْرِيد يَعْرِفُ هٰذا عَنْ هُولْمز .

قال لِيستْرِيد لِلسَّيِّدِ ماكْفارْلين : «هُناكَ شُرْطِيّانِ يَنْتَظِرانِكَ في الخارِجِ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ مَعَهُما ٱلآنَ .»

اِقْتادَ ٱلشُّرْطِيّانِ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين وَوَجْهُهُ لا يَزالُ شاحِبًا ، وَكانَ يَنْظُرُ إِلى هُولمْز في حُزْنٍ شَديدٍ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

الفصـــلُ ٱلثّـــالِثُ

بَعْدَ ذَهابِ ماكْفارْلين بَقِيَ لِيستْرِيد مَعَنا ، وَتَناوَلَ هُولمْز ٱلأَوْراقَ ٱلَّتي تَرَكَها ٱلْمُحامي فَأَلْقى عَلَيْها نَظْرَةً ، ثُمَّ قَدَّمَها إِلى لِيستْرِيد قائِلًا :

«إِنَّها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا لِيستْرِيد ؟»

نَظَرَ لِيستْرِيد إِلى ٱلأَوْراقِ لَحَظاتٍ ثُمَّ قالَ : «إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْهَمَ ٱلأَسْطُرَ ٱلقَليلَةَ ٱلأُولى تَمامًا ؛ إِذْ إِنَّ ٱلكِتابَةَ واضِحَةٌ ، أَمّا بَعْدَ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلكِتابَةَ في غايَةِ ٱلرَّداءَةِ حَتّى إِنّي لا أَسْتَطيعُ قِراءَتَها . ثُمَّ يَلي ذٰلِكَ بِضْعَةُ أَسْطُرٍ أُخْرى قَليلَةٍ تَتَّضِحُ فيها ٱلكِتابَةُ ، ثُمَّ تَعودُ إِلى ٱلرَّداءَةِ مِنْ جَديدٍ .»

قالَ هُولمْز : «تُرى ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟»

رَدَّدَ لِيستْرِيد ٱلسُّؤالَ نَفْسَهُ : «ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟»

أَجابَ هُولمْز : «إِنَّ ٱلإِجابَةَ في غايَةِ ٱلبَساطَةِ : كَتَبَها ٱلسَّيِّدُ أُولْداكْر وَهُوَ في ٱلقِطارِ حينَما كانَ قادِمًا إِلى لَنْدَن لِيَرى ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين ، وَقَدْ كَتَبَ

ٱلأَجْزاءَ ٱلواضِحَةَ عِنْدَما كانَ ٱلقِطارُ يَتَوَقَّفُ في ٱلمَحَطّاتِ ، وَكَتَبَ ٱلأَجْزاءَ ٱلرَّديئَةَ أَثْناءَ تَحَرُّكِ ٱلقِطارِ .»

ضَحِكَ ٱلسَّيِّدُ لِيستْرِيد ثُمَّ قالَ : «حَسَنٌ جِدًّا يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَلٰكِنْ كَيْفَ نَنْتَفِعُ بِهٰذا في ٱلقَضِيَّةِ ٱلَّتي أَمامَنا ؟»

أَجابَ هُولمْز : «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِمّا يَدْعو إِلى ٱلدَّهْشَةِ أَنْ يَقومَ أَحَدُ ٱلنّاسِ بِكِتابَةِ وَصِيَّتِهِ في ٱلقِطارِ . إِنَّ ٱلأَمْرَ لَيَبْدو وَكَأَنَّ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكْر لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ في مَوْضوعِ ٱلوَصِيَّةِ بِجِدِّيَّةٍ ، أَوِ ٱهْتِمامٍ .»

قالَ لِيستْرِيد : «لَقَدْ كانَ ٱلأَمْرُ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ . أَلَمْ تَكُنِ ٱلوَصِيَّةُ هِيَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذي أَدّى بِهِ إِلى أَنْ يَكونَ ٱلآنَ في عِدادِ ٱلأَمْواتِ ؟»

سَأَلَهُ هُولمْز : «أَوَ تَظُنُّ ٱلأَمْرَ كَذٰلِكَ ؟»

قالَ لِيستْرِيد : «وَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ غَيْرُ ذٰلِكَ ؟»

أَجابَ هُولمْز : «هٰذا مُحْتَمَلٌ ، وَلٰكِنَّ ٱلمَسْأَلَةَ في نَظَري لَيْسَتْ واضِحَةً ٱلوُضوحَ ٱلكافي بَعْدُ .»

قالَ لِيستْرِيد : «لَيْسَتْ واضِحَةً ؟ إِنَّها واضِحَةٌ كُلَّ ٱلوُضوحِ في نَظَري . عِنْدَما عَرَفَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين أَنَّهُ سَوْفَ يَحْصُلُ عَلى أَمْوالِ ٱلسَّيِّدِ أُولْداكْر ذَهَبَ إِلى نُورْوُود وَقَتَلَهُ ، ثُمَّ أَحْرَقَ جُثَّتَهُ مَعَ ٱلأَخْشابِ . وَكانَ يَأْمُلُ أَلّا يَعْلَمَ أَحَدٌ ما حَدَثَ لِلسَّيِّدِ أُولْداكْر ، عَلى أَساسِ أَنَّهُ لَنْ يَهْتَدِيَ أَحَدٌ إِلى أَثَرٍ مِنْ مَعالِمِ ٱلجَريمَةِ . إِنَّ ٱلأَمْرَ - بِالنِّسْبَةِ لي - في غايَةِ ٱلبَساطَةِ .»

قالَ هُولمْز : «في غايةِ ٱلبساطةِ ؟! إنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين لَيسَ غبيًّا ؛ فمِنَ ٱلحُمْقِ ٱلشَّديدِ أنْ يَقْتُلَ إنسانًا في ٱليَوْمِ نَفْسِهِ ٱلَّذي كَتَبَ فيهِ هٰذا ٱلإنسانُ وَصِيَّتَهُ لِصالِحِهِ . كَما أنَّهُ مِنَ ٱلحُمْقِ أنْ يَقْتُلَ ٱلسَّيِّدَ أولْداكر مَعَ عِلْمِهِ أنَّ حادِمَتَهُ تَعْرِفُ مَنِ ٱلَّذي كانَ في ٱلمَنْزِلِ في هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ . ألا تَذْكُرُ ؟ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلعَجوزُ هِيَ ٱلَّتي فَتَحَتِ ٱلبابَ لِلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ! وَشَيْءٌ آخَرُ : لِماذا يُحْرِقُ ٱلجُثَّةَ بِهٰذا ٱلأُسْلوبِ ٱلحَريصِ ٱلحَذِرِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَتْرُكُ عَصاهُ في ٱلغُرْفَةِ في غَيْرِ حِرْصٍ وَلا حَذَرٍ ؟»

قالَ لِيسْتْرِيد : «أنْتَ تَعْلَمُ يا سَيِّدُ هُولمْز أنَّ ٱلمَرْءَ حينَما يَقْتُلُ إنسانًا فإنَّ تَفْكيرَهُ - في تِلْكَ ٱللَّحَظاتِ - يَكونُ في ٱلغالِبِ مُشَوَّشًا ، وَمِنَ ٱلسَّهْلِ أنْ يَنْسَى شَيْئًا مِثْلَ ٱلعَصا ، وَلَعَلَّهُ كانَ يَخافُ أنْ يَعودَ ثانِيَةً إلى ٱلغُرْفَةِ . وَمَعَ هٰذا ، هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تُقَدِّمَ لي سَبَبًا آخَرَ لِمَقْتَلِ ٱلسَّيِّدِ أولْداكر ؟»

قالَ هُولمْز : «أسْتَطيعُ أنْ أُفَكِّرَ في أسْبابٍ كَثيرَةٍ مُحْتَمَلَةٍ : فَمَثَلًا لِنَفْرِضْ أنَّ شَخْصًا كانَ يَمُرُّ بِالمَنْزِلِ في هٰذا ٱلوَقْتِ وَرَأى ٱلرَّجُلَيْنِ في ٱلغُرْفَةِ وَمَعَهُما ٱلأوْراقُ . فَظَنَّ أنَّ في حَوْزَتِهِما مالًا ، وَعِنْدَما غادَرَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين ٱلمَنْزِلَ ، فَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أنَّ هٰذا ٱلشَّخْصَ تَسَلَّلَ مِنْ خِلالِ ٱلنّافِذَةِ ، وَقَتَلَ ٱلسَّيِّدَ أولْداكر .»

سَألَهُ لِيسْتْرِيد : «إذا كانَ ٱلأمْرُ كَذٰلِكَ ، فَلِماذا لَمْ يَسْرِقِ ٱلقاتِلُ أيَّ شَيْءٍ ؟»

أجابَ هُولمْز : «لِأنَّهُ لَمْ يَجِدْ إلّا ٱلأوْراقَ ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ أيُّ نُقودٍ في ٱلغُرْفَةِ .»

مَعَ أنَّ لِيسْتْرِيد ، بَعْدَ هٰذا ، بَدا مُتَشَكِّكًا بَعْضَ ٱلشَّيْءِ في صِحَّةِ أفْكارِهِ ، فَإنَّهُ قالَ : «حَسَنًا ، تَسْتَطيعُ يا سَيِّدُ هُولمْز أنْ تَبْحَثَ عَنِ ٱلجاني إذا أرَدْتَ ، أمّا أنا فَأعْتَقِدُ أنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين هُوَ ٱلَّذي قَتَلَ ٱلسَّيِّدَ أولْداكر . إنَّ لَدَيْهِ سَبَبًا قَوِيًّا لِقَتْلِهِ . ثُمَّ إنَّهُ ٱلشَّخْصُ ٱلوَحيدُ عَلى ظَهْرِ ٱلبَسيطَةِ ٱلَّذي لَمْ يَكُنْ بِحاجَةٍ إلى سَرِقَةِ أيِّ شَيْءٍ ، لِأنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَوْفَ يَكونُ مِلْكًا لَهُ - بِالوِراثَةِ - عاجِلًا .»

قالَ هُولمْز : «أنا لَمْ أقُلْ إنَّكَ عَلى خَطَإٍ ، إنَّما أرَدْتُ أنْ أُرِيَكَ أنَّ هُناكَ ظُروفًا أُخْرى مُحْتَمَلَةً لِمَقْتَلِ ٱلسَّيِّدِ أولْداكر . إلى ٱللِّقاءِ يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد ، وَأتَوَقَّعُ أنْ أحْضُرَ لِأراكَ في نُورْوُود بَعْدَ ظُهْرِ ٱليَوْمِ .»

بَعْدَ ٱنْصِرافِ لِيسْتْرِيد أخَذَ هُولمْز يَرْتَدي مِعْطَفَهُ وَهُوَ يَقولُ : «سَأذْهَبُ إلى بْلاكْ هِيث .»

قُلْتُ لَهُ مُتَسائِلًا : «لِماذا لا تَذْهَبُ إلى نُورْوُود ؟»

أجابَ : «هُناكَ أمْرانِ غَريبانِ قَدْ حَدَثا يا صَديقي ، وَلٰكِنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ لا يُفَكِّرونَ إلّا في واحِدٍ مِنْهُما فَقَطْ ، أمّا أوَّلُهُما فَهُوَ هٰذِهِ ٱلوَصِيَّةُ ٱلغَريبَةُ ، فَأنا أُريدُ أنْ أعْرِفَ لِماذا أرادَ ٱلسَّيِّدُ أولْداكر أنْ يوصِيَ بِمالِهِ لِلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ؟»

سَأَلْتُهُ : «أَتُرِيدُنِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ ؟»

أجابَ : «لا ، لَيْسَ ذٰلِكَ ضَرورِيًّا ؛ فَلَيْسَ هُناكَ خَطَرٌ ما .»

تَرَكَني هُولمْز وَآنصرَف ، وَأنا أَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَغْبَةً في مَدِّ يَدِ ٱلمَعونَةِ لِلسَّيِّد ماكْفارْلين بِقَدْرِ مايَسْتَطيعُ .

الفَصْـــلُ ٱلرَّابِـــعُ

كانَ ٱلوَقْتُ مُتَأَخِّرًا حِينَما عادَ صَديقي هُولمْز مِنْ بْلاك هِيث . وَكانَ يَبْدو عَلى وَجْهِهِ أَنَّهُ غَيْرُ سَعيد . وَقَدْ بادَرَني قائِلًا :

«واطْسُن ، يَبْدو أَنَّ ٱلقَضِيَّةَ لَيْسَتْ سَهْلَةً ، وَفي هٰذِهِ ٱلمَرَّةِ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ لِيستْرِيد قَدْ يَكونُ عَلى حَقٍّ . أَنا لا أَزالُ أَعْتَقِدُ أَنَّ ماكْفارْلين لَمْ يَقْتُلْ أُولْداكْر ، وَلٰكِنَّ ٱلحَقائِقَ تُؤَيِّدُ لِيستْرِيد فيما يَراهُ ، وَلا تُؤَيِّدُني فيما أَرى . يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ رُبَّما يَكْسِبُ ٱلجَوْلَةَ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ .»

سَأَلْتُهُ : «هَلْ ذَهَبْتَ إِلى بْلاك هِيث ؟»

أَجابَ : «نَعَمْ ، وَسَرْعانَ ما ٱكْتَشَفْتُ أَنَّ أُولْداكْر كانَ رَجُلًا سَيِّئًا غايَةَ ٱلسُّوءِ . وَلَقَدْ تَحَدَّثْتُ إِلى والِدَةِ ٱلسَّيِّد ماكْفارْلين ٱلَّتي كانَتْ في أَشَدِّ حالاتِ ٱلغَضَبِ وَٱلخَوْف ، وقَدْ أَخْبَرَتْني أَنَّ أُولْداكْر كانَ يُريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَها مُنْذُ سَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَرْضَ أَنْ تَكونَ زَوْجَةً لَهُ بِسَبَبِ ما ٱكْتَشَفَتْهُ مِنْ أَنَّهُ كانَ بالِغَ ٱلقَسْوَةِ عَلى بَعْضِ حَيَواناتٍ يَقْتَنيها ، مِمَّا أَثارَ غَضَبَهُ عَلَيْها

حَتّى إِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْها – في يَوْمِ زِفافِها إِلى زَوْجِها ٱلحالِيِّ – بِنُسْخَةٍ مِنْ صورَةٍ فُوتُوغْرافِيَّةٍ لَها وَقَدْ مَزَّقَها قِطَعًا صَغيرَةً ، كَما بَعَثَ إِلَيْها بِرِسالَةٍ قالَ فيها إِنَّهُ يَكِنُّ لَها وَلِزَوْجِها ٱلجَديدِ بُغْضًا وَكَراهِيَةً .

«إِذا ٱكْتَشَفَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ هٰذِهِ ٱلمَعْلوماتِ فَسَوْفَ يَعْتَقِدونَ أَنَّ لَدى ٱلسَّيِّد ماكْفارْلين ٱلآنَ سَبَبًا آخَرَ يَحْمِلُهُ عَلى قَتْلِ أُولْداكْر . وَلَمْ أَكْتَشِفْ شَيْئًا آخَرَ في بْلاك هِيث ، وَلِذٰلِكَ ٱتَّجَهْتُ إِلى نُورْوُود .»

أَطْلَعَني هُولمْز عَلى خَريطَةٍ رَسَمَها لِمَنْزِلِ أُولْداكْر وَحَديقَتِهِ . كانَتِ ٱلحَديقَةُ واسِعَةً ، وَكانَ ٱلمَكانُ ٱلَّذي يَحْتَفِظُ فيهِ بِالأَخْشابِ يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ



أَقْرَبِ شارِعٍ . وَلَمْ يَكُنْ لِيسْترِيد هُناكَ حينَما زارَ هُولمْز ٱلمَنْزِلَ . وَلٰكِنَّ شُرْطِيًّا آخَرَ كانَ هُناكَ وَأَطْلَعَهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ .

اِسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ قائِلًا : « لَقَدْ وَجَدوا بَعْضَ قِطَعٍ مِنْ مَلابِسِ أُولْداكْر في ٱلْبُقْعَةِ ٱلَّتي شَبَّ فيها ٱلحَريقُ . وَكانَ مِنْ رَأْيِ أَحَدِ ٱلأَطِبّاءِ أَنَّهُ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ رَجُلٌ أَوْ حَيَوانٌ قَدِ ٱحْتَرَقَ هُناكَ . وَقَدْ فَحَصْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ ، وَلٰكِنّي لَمْ أَجِدْ شَيْئًا جَديدًا . كانَ هُناكَ دَمٌ قَليلٌ في حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ . وَكانَتْ هُناكَ آثارُ أَقْدامِ رَجُلَيْنِ فَقَطْ فَوْقَ ٱلأَرْضِ .

« لَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ أَنَّ أُولْداكْر لَمْ يَكُنْ يُودِعُ في ٱلمَصْرِفِ مالًا كَثيرًا كَما زَعَمَ بَعْضُ ٱلنّاسِ ، وَلِهٰذا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ قَتْلَهُ سَوْفَ يَجْعَلُ مِنْ ماكْفارْلين رَجُلًا ثَرِيًّا . »

« وَأَخيرًا تَحَدَّثْتُ إِلى ٱلسَّيِّدَةِ ٱلعَجوزِ خادِمَةِ أُولْداكْر ، وَأَظُنُّ أَنَّها تَعْلَمُ شَيْئًا ، لٰكِنَّها لَمْ تُطْلِعْني إِلّا عَلى ٱلقَليلِ . أَخْبَرَتْني أَنَّها أَدْخَلَتِ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين ٱلمَنْزِلَ حَوالَى ٱلسّاعَةِ ٱلتّاسِعَةِ وَٱلنِّصْفِ ، وَتَظُنُّ أَنَّهُ تَرَكَ عَصاهُ في ٱلرَّدْهَةِ . وَقَدْ ذَهَبَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ لِتَنامَ ، وَلَمْ تَسْتَيْقِظْ إِلّا عَلى أَصْواتِ ٱلنّاسِ ٱلَّذينَ هُرِعوا إِلى ٱلمَنْزِلِ حينَما شاهَدوا ٱلحَريقَ . »

« وَتَقولُ ٱلسَّيِّدَةُ إِنَّها تَظُنُّ أَنَّ قِطَعَ ٱلقُماشِ ٱلَّتي عَثَروا عَلَيْها مِنَ ٱلثِّيابِ عَيْنِها ٱلَّتي يَرْتَديها ٱلسَّيِّدُ أُولْداكْر في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ . هٰذا كُلُّ ما أَخْبَرَتْني بِهِ ، وَلٰكِنّي واثِقٌ أَنَّها أَخْفَتْ عَنّي شَيْئًا ... لَدَيَّ إِحْساسٌ بِذٰلِكَ . »

أَخْبَرَني هُولمْز أَنَّ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكْر كانَ يُسَدِّدُ مَبالِغَ مالِيَّةً إِلى شَخْصٍ يُدْعى ٱلسَّيِّدَ كُورْنيلْياس . وَكانَ هٰذا هُوَ ٱلسَّبَبَ في أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ إِلّا ٱلقَليلُ ٱلمُودَعُ في ٱلمَصْرِفِ ، وَقالَ هُولمْز إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ ٱلِاهْتِداءَ إِلى شَخْصِيَّةِ كُورْنيلْياس .

عِنْدَما ٱنْتَهى هُولمْز مِنْ حَديثِهِ كانَتْ تَبْدو عَلى وَجْهِهِ ٱلحِدَّةُ ٱلشَّديدَةُ ، ثُمَّ قالَ : « أَخْشى أَنْ يَتَمَكَّنَ ٱلسَّيِّدُ لِيسْترِيد مِنْ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْمِشْنَقَةِ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين . وَلَسْتُ أَدْري كَيْفَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَحُولَ دُونَ ذٰلِكَ . »

بَعْدَ هٰذا ذَهَبْتُ إِلى فِراشي لِأَنامَ ، وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هُولمْز لَمْ يَذُقْ طَعْمَ ٱلنَّوْمِ طَوالَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ .

الفَصْلُ ٱلخامِسُ

حينَما ٱسْتَيْقَظْتُ في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، كانَ شِيرْلُوك هُولمْز يَقْرَأُ صُحُفَ ٱلصَّباحِ ، وَكانَتْ هُناكَ رِسالَةٌ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ مِنْ نُورْوُود ، جاءَ فيها ما يَلي :

« تَعالَ إِلى نُورْوُود عَلى عَجَلٍ ، فَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ حَقيقَةً جَديدَةً ، وَقَدْ تَأَكَّدَ لِيَ ٱلآنَ أَنَّ ماكْفارْلين هُوَ ٱلَّذي قَتَلَ أُولْداكْر .

لِيسْترِيد »

قُلْتُ مُعَقِّبًا : « يَبْدو أَنَّ ٱلأَمْرَ خَطيرٌ . »

قالَ هُولمْز : « ٱلواضِحُ أَنَّ لِيسْتريد مُبْتَهِجٌ غايةَ ٱلِابْتِهاجِ ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ هزمني لِأَوَّلِ مَرَّةٍ.يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إلى نُورْوُد ، وَأَرْجو يا واطْسُن أَنْ تَأْتِيَ مَعي ، فَإِنّي في حاجَةٍ ٱليَوْمَ إلى صَديقٍ . »

عِنْدَما وَصَلْنا إلى مَنْزِلِ أُولْداكْر في نُورْوُد وَجَدْنا لِيسْترِيد في ٱنْتِظارِنا وَقَدْ بَدا على وَجْهِهِ ٱلبِشْرُ وَٱلرِّضا عَنِ ٱلنَّفْسِ ، وَصاحَ حينما رَآنا : « أَهْلًا يا سَيِّدُ هُولمْز ، هَلْ تَوَصَّلْتَ إلى ٱلجاني ؟ »

أَجابَهُ هُولمْز في هُدوءٍ : « لَمْ أَجِدْ شَيْئًا بَعْدُ . »

قالَ لِيسْترِيد : « أَمّا أَنا فَوَجَدْتُ . »

قالَ هُولمْز : « مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّكَ تَبْدو مُسْتَبْشِرًا راضِيًا عَنْ نَفْسِكَ . »

ضَحِكَ لِيسْترِيد بِصَوْتٍ عالٍ وَقالَ لي : « إِنَّ شِيرْلُوك هُولمْز – حَقيقَةً – لا يُحِبُّ أَنْ يَهْزِمَهُ أَحَدٌ . أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا دُكْتور واطْسُن ؟ »

لَمْ أَرُدَّ على مُلاحَظَتِهِ ، لٰكِنَّهُ ٱسْتَمَرَّ يَقولُ : « تَفَضَّلوا مَعي أَيُّها ٱلسّادَةُ . » وَقادَنا إلى ٱلرَّدْهَةِ قائِلًا : « هٰذا هُوَ ٱلمَكانُ ٱلَّذي أَعْتَقِدُ أَنَّ ماكْفارْلين قَدِ ٱتَّجَهَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَ قُبَّعَتَهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أُولْداكْر . وَٱلآنَ ، اُنْظُروا هُنا . » وَأَشارَ إلى عَلامَةٍ على ٱلجِدارِ . وَكانَ واضِحًا أَنَّها أَثَرُ إِصْبَعٍ ، وَلَها لَوْنُ ٱلدَّمِ ، ثُمَّ قالَ : « هٰذا أَثَرُ إِصْبَعِ جون هِكْتور ماكْفارْلين . » ثُمَّ أَبْرَزَ وَرَقَةً صَغيرَةً عَلَيْها عَلامَةٌ تُضاهي تَمامًا تِلْكَ ٱلَّتي على ٱلجِدارِ . وَقالَ :

« إِنَّها بَصْمَةُ ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ، أُخِذَتْ لِإِصْبَعِهِ في ٱلسِّجْنِ هٰذا ٱلصَّباحَ . » ثُمَّ عَقَّبَ قائِلًا في زَهْوٍ : « هٰذِهِ هِيَ نِهايَةُ ٱلقَضِيَّةِ . »

قُلْتُ مُوافِقًا : « نَعَمْ ، إِنَّها لَكَذٰلِكَ . »

نَظَرْتُ إلى هُولمْز فَأَخَذَتْني ٱلدَّهْشَةُ ، إِذْ كانَ يَبْدو سَعيدًا جِدًّا ، وَقالَ : « نَعَمْ ، إِنَّها لَكَذٰلِكَ . »



اسْتَمَرَّ لِيسْتِرِيد في حَديثِهِ بِأُسْلوبٍ يَفيضُ بِالزَّهْوِ مُعْتَقِدًا أَنَّ هُولمْز قَدِ انْهَزَمَ . أَمَّا أنا فَكُنْتُ أرى أَنَّ هُولمْز في الحَقيقَةِ يَسْخَرُ مِنْهُ .

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ جِدًّا ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ هٰذا دَرْسًا لَنا جَميعًا ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا لِيسْتِرِيد ؟ »

أَجابَ لِيسْتِرِيد : « نَعَمْ ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ كَذٰلِكَ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنِ الَّذي اكْتَشَفَ هٰذِهِ العَلامَةَ ؟ »

أَجابَ : « خادِمَةُ السَّيِّدِ أُولداكر ... السَّيِّدَةُ العَجوزُ . لَقَدْ وَجَدَتْها هٰذا الصَّباحَ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَمُتَأَكِّدٌ أَنْتَ أَنَّ هٰذِهِ العَلامَةَ كانَتْ مَوْجودَةً في مَكانِها بِالأَمْسِ ؟ » ظَنَّ لِيسْتِرِيد أَنَّ صاحِبي أَصابَهُ مَسٌّ مِنَ الجُنونِ ، أَمَّا أَنا فَلا بُدَّ أَنْ أَعْتَرِفَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْهَمَ ماذا كانَ هُولمْز يَعْني بِهٰذا السُّؤالِ .

أَجابَ لِيسْتِرِيد : « يا سَيِّدُ هُولمْز ، كَيْفَ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَكونَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين قَدِ اسْتَطاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ سِجْنِهِ وَيَأْتِيَ إِلى هُنا لِيُحْدِثَ هٰذِهِ العَلامَةَ ؟ وَحَتّى لَوْ كانَ هٰذا مُمْكِنًا لَكانَ غَباءً مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ هٰذِهِ الفَعْلَةَ . »

حينَئِذٍ قالَ هُولمْز : « حَسَنًا ، إِنَّهُ أَثَرُ إِصْبَعِهِ ، لا رَيْبَ في هٰذا . »

قالَ لِيسْتِرِيد : « نَعَمْ ، لا رَيْبَ في هٰذا . وَالآنَ لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ أَيُّها السّادَةُ . إِنّي رَجُلٌ كَثيرُ المَشاغِلِ ، وَلا بُدَّ أَنْ أَكْتُبَ تَقْريري عَنْ هٰذِهِ القَضِيَّةِ . »

تَرَكَنا لِيسْتِرِيد وَمَضى مُسْرِعًا إِلى حُجْرَةِ الجُلوسِ لِيَكْتُبَ تَقْريرَهُ . وَبَعْدَ ما أَغْلَقَ البابَ سَأَلْتُ هُولمْز : « لِماذا بَدَوْتَ مُبْتَهِجًا حينَما أَطْلَعَنا لِيسْتِرِيد عَلى العَلامَةِ ؟ » فَأَجابَ بِبَساطَةٍ : « لِأَنّي أَعْلَمُ أَنَّها لَمْ تَكُنْ هُنا بِالأَمْسِ . لَقَدْ نَظَرْتُ إِلى الجِدارِ بِعِنايَةٍ ، عَلى حينِ أَنَّ الشُّرْطَةَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ بِمِثْلِ ما فَعَلْتُ . وَهٰذا هُوَ السَّبَبُ في أَنَّهُم لَيْسوا رِجالَ مَباحِثَ مُمْتازينَ . وَالآنَ هَيّا يا واطْسُن نَتَمَشّى قَليلًا في الحَديقَةِ . »

سِرْتُ أَتْبَعُهُ في الحَديقَةِ وَأَنا أُفَكِّرُ في الأَمْرِ . وَالحَقُّ أَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُعَلِّلَ كَيْفَ أَتَتْ هٰذِهِ العَلامَةُ .

لَمْ يَبْدُ عَلى هُولمْز أَنَّهُ يُريدُ أَنْ يُخْبِرَني في الوَقْتِ الحاضِرِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ في كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الأَجْزاءِ الخارِجِيَّةِ لِلْمَنْزِلِ ، ثُمَّ عُدْنا إِلى الدّاخِلِ مَرَّةً أُخْرى ، فَأَخَذْنا نَفْحَصُ كُلَّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجُراتِهِ فَحْصًا دَقيقًا . بَلْ لَقَدْ فَحَصْنا كُلَّ صُوانٍ ، وَسِرْنا في كُلِّ مَمَرٍّ . وَبَيْنَما كُنّا نَجْتازُ آخِرَ مَمَرٍّ في أَعْلى المَنْزِلِ إِذا بِهُولمْز يَضْحَكُ فَجْأَةً ، وَيَقولُ : « إِنَّها لَقَضِيَّةٌ مُثيرَةٌ يا واطْسُن . إِنَّ لِيسْتِرِيد يَظُنُّ أَنَّهُ هَزَمَني . وَكانَ يَتَهَكَّمُ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنِ العَلامَةِ الَّتي فَوْقَ الجِدارِ ، وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنّي أَسْتَطيعُ الآنَ أَنْ أَتَهَكَّمَ بِدَوْري . ماذا سَأَفْعَلُ الآنَ ؟ أَجَلْ .. أَجَلْ .. »

نَزَلْنا إِلى الحُجْرَةِ الَّتي كانَ لِيسْتِرِيد يَشْتَغِلُ فيها ، وَسَأَلَهُ هُولمْز : « أَتَكْتُبُ تَقْريرَكَ يا سَيِّدُ لِيسْتِرِيد ؟ »

أَجابَ لِيسْتِرِيد : « بِالطَّبْعِ . » وَبَدا صَوْتُهُ كَما لَوْ كانَ غاضِبًا مِنّا بِسَبَبِ

ٱقتحاما ٱلحُجْرةَ وَهُوَ مَشْغولٌ بِتَقْريرِهِ .

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَلا تَظُنُّ أَنَّ إعدادَ ٱلتَّقْريرِ ٱلآنَ سابِقٌ لِأَوانِهِ ؟ »

هُنا وَضَعَ لِيستْرِيد قَلَمَهُ وَتَطَلَّعَ إلى هُولمْز ، إذْ كانَ يَعْرِفُهُ حَقَّ ٱلمَعْرِفَةِ ، وَأَدْرَكَ أَنَّ في جَعْبَتِهِ شَيْئًا ذا أَهَمِّيَّةٍ ، وَسَوْف يُخْبِرُهُ بِهِ ، فَسَأَلَهُ : « ماذا تَعْني ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « حَسَنًا ، هُناكَ شَخْصٌ مُهِمٌّ في هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ لَمْ تَتَحَدَّثْ إلَيْهِ . »

قالَ لِيستْرِيد في صَوْتٍ مُفْعَمٍ بِالدَّهْشَةِ : « حَقًّا ؟ مَنْ هُوَ ؟ أَتَسْتَطيعُ أَنْ تَدُلَّني عَلى هٰذا ٱلشَّخْصِ ؟ »

قالَ هُولمْز : « نَعَمْ ... أَظُنُّ أَنَّني أَسْتَطيعُ ، وَلٰكِنَّني في حاجَةٍ إلى بَعْضِ ٱلعَوْنِ . كَمْ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ هُنا ؟ »

قالَ لِيستْرِيد : « ثَلاثَةٌ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَهُمْ رِجالٌ أَشِدّاءُ ، ذَوُو أَصْواتٍ قَوِيَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ ؟ »

أَجابَ لِيستْرِيد : « نَعَمْ ، إنَّهُمْ كَذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّني لا أَرى كَيْفَ تَكونُ أَصْواتُهُمْ ذاتَ عَوْنٍ لَنا . »

قالَ هُولمْز : « سَوْفَ تَرى عاجِلًا ؛ وَٱلآنَ أَرْجو أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يُحْضِرَ إلَيْنا بَعْضَ ٱلصُّحُفِ ٱلقَديمَةِ ، هُناكَ كَمِّيَّةٌ كَبيرةٌ مِنْها في ٱلرَّدْهَةِ ؛ أَمّا ٱلشُّرْطِيّانِ ٱلآخَرانِ فَلْيُحْضِرا بَعْضَ دِلاءٍ مَمْلوءَةٍ بِالماءِ . »

أُحْضَرَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ما طُلِبَ مِنْهُمْ . وَصَعِدْنا جَميعًا إِلى أَعْلى ٱلْمَنْزِلِ ، وَ كانَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ يَتَبَسَّمونَ ، أَمَّا لِيسْتْرِيد فَكانَ لا يَزالُ يَعْتَقِدُ أَنَّ هُولْمْز يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ ٱلْمَجانينِ . أَمَّا أَنا فَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ماذا يُريدُ صَديقي هُولْمْز أَنْ يَفْعَلَ .

ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

مَشى شِرْلُوك هُولْمْز إِلى نِهايَةِ ٱلدِّهْليزِ كَما يَفْعَلُ ٱلْمُمَثِّلونَ فَوْقَ ٱلْمَسْرَحِ ، وَ وَضَعَ ٱلصُّحُفَ عَلى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ قالَ لي : « واطْسُن ، أَرْجو أَنْ تَفْتَحَ ٱلنَّافِذَةَ ، ثُمَّ أَشْعِلِ ٱلنَّارَ في هٰذِهِ ٱلصُّحُفِ . »

قُمْتُ بِتَنْفيذِ ما طَلَبَ ، وَ سَرْعانَ ما أَخَذَتِ ٱلصُّحُفُ في ٱلِاحْتِراقِ . وَ قالَ هُولْمْز : « وَٱلآنَ أُريدُ مِنْكُمْ جَميعًا أَنْ تَصيحوا مَعي بِأَعْلى صَوْتٍ : « حَريقٌ ! حَريقٌ ! » واحِدٌ ... ٱثْنانِ ... ثَلاثَةٌ ... »

صِحْنا جَميعًا : « حَريقٌ ! » صَرَخَ هُولْمْز مَرَّةً ثانِيَةً : « حَريقٌ ! » فَرَدَّدْنا بِصَوْتٍ عالٍ : « حَريقٌ ! »

فَجْأَةً رَأَيْنا ٱلجِدارَ في نِهايَةِ ٱلدِّهْليزِ يَنْفَتِحُ كَما يَنْفَتِحُ ٱلبابُ تَمامًا . وإِذا بِرَجُلٍ قَصيرِ ٱلقامَةِ قَبيحِ ٱلوَجْهِ يَخْرُجُ مِنْهُ وَ هُوَ يَعْدو مِثْلَ أَرْنَبٍ مَذْعورٍ يَنْطَلِقُ مِنْ جُحْرِهِ .

قالَ هُولْمْز : « حَسَنٌ جِدًّا . صُبَّ بَعْضَ ٱلماءِ عَلى ٱلنَّارِ يا واطْسُن . » ثُمَّ خاطَبَ لِيسْتْرِيد قائِلًا : « هٰذا هُوَ ٱلسَّيِّدُ جُوناس أُولْداكْر . »

في ٱلبِدايَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ لِيسْتْرِيد أَنْ يُصَدِّقَ ما رَآهُ ، ثُمَّ قالَ مُخاطِبًا أُولْداكْر : « أَيْنَ كُنْتَ في ٱليَوْمَيْنِ ٱلسَّابِقَيْنِ ؟ »

ضَحِكَ أُولْداكْر ، وَلٰكِنْ كانَ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّهُ خائِفٌ مِنْ لِيسْتْرِيد ، ثُمَّ قالَ : « إِنّي لَمْ أَضُرَّ أَحَدًا . »

أَجابَ لِيسْتْرِيد غاضِبًا : « أَنْتَ لَمْ تَضُرَّ أَحَدًا ؟! إِنَّ ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين في ٱلسِّجْنِ بِسَبَبِكَ . لَقَدْ ظَنَنَّا أَنَّهُ قَتَلَكَ ، وَ كانَ عُرْضَةً لِلشَّنْقِ . »

قالَ أُولْداكْر : « لَقَدْ فَعَلْتُ ما فَعَلْتُ عَلى سَبيلِ ٱلدُّعابَةِ فَحَسْبُ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « أَمَّا ٱلآنَ فَلا سَبيلَ لَكَ إِلى مَزيدٍ مِنَ ٱلدُّعابَةِ . »

طَلَبَ لِيسْتْرِيد مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ أَنْ يَأْخُذوهُ ، وَبَعْدَ أَنْ ذَهَبوا قالَ : « أَرى لِزامًا عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَكَ يا سَيِّدُ هُولْمْز . لَقَدْ كُنْتُ غَيْرَ مُهَذَّبٍ مَعَكَ صَباحَ ٱليَوْمِ فَأَنا آسِفٌ ... ، كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلقَضِيَّةَ ٱنْتَهَتْ ، وَلَوْ شُنِقَ ٱلسَّيِّدُ ماكْفارْلين بِسَبَبِ جَريمَةٍ لَمْ يَرْتَكِبْها لَكانَ ٱلأَمْرُ مُؤْسِفًا حَقًّا . »

قالَ هُولْمْز بِرِفْقٍ : « لا تَقْلَقْ ، فَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ ما حَدَثَ . إِنَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُغَيِّرَ تَقْريرَكَ . وَلَيْسَ مِنَ ٱلضَّرورِيِّ أَنْ تَذْكُرَ فيهِ أَنَّني قَدَّمْتُ أَيَّةَ مُعاوَنَةٍ . »

سَأَلَهُ لِيسْتْرِيد : « وَلٰكِنْ ، أَلا تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ ٱلنَّاسُ كَمْ كُنْتَ حاذِقًا ؟ »

أَجابَ هُولْمْز : « كَلَّا ، لا رَغْبَةَ لي في ذٰلِكَ . إِنَّني سَعيدٌ بِما أَقومُ بِهِ مِنْ

عَمَلٍ ، وَهٰذا يَكْفيني . وَٱلآنَ دَعْنا نَرى أَيْنَ كانَ هٰذا ٱلفَأْرُ مُقيمًا :

« حُوِّلَتْ نِهايَةُ ٱلدِّهْليزِ إلى حُجْرَةٍ صَغيرَةٍ فيها قَليلٌ مِنَ ٱلأَثاثِ ، وَكانَ فَوْقَ ٱلمِنْضَدَةِ بَعْضُ ٱلطَّعامِ وَٱلماءِ ، وَكَذٰلِكَ بَعْضُ ٱلأَوْراقِ . فَإِذا أُغْلِقَ بابُها صارَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ نَرى أَنَّ هُناكَ حُجْرَةً ما .

« لَقَدْ كانَ أُولْداكَر بَنّاءً ، وَمِنْ ثَمَّ ٱسْتَطاعَ أَنْ يُهَيِّئَ بِسُهولَةٍ هٰذا ٱلمَكانَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ في حاجَةٍ إلى ٱلاِسْتِعانَةِ بِأَحَدٍ في هٰذِهِ ٱلخُطَّةِ ، فيما عَدا خادِمَتَهُ . »

سَأَلَ لِيسْتْرِيد : « وَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ كانَ هُنا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لَقَدْ فَكَّرْتُ في أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مُخْتَبِئًا في مَكانٍ بِالمَنْزِلِ ، وَلاحَظْتُ أَنَّ هٰذا ٱلدِّهْليزَ أَقْصَرُ مِنْ نَظيرِهِ في ٱلطّابَقِ ٱلَّذي تَحْتَهُ . وَمِنْ هُنا ٱتَّضَحَ لي أَيْنَ كانَ يَخْتَبِئُ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « لَقَدْ كانَ هٰذا عَمَلًا ذَكِيًّا ، وَلٰكِنْ ما ٱلَّذي جَعَلَكَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ في ٱلمَنْزِلِ ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَثَرُ ٱلإِصْبَعِ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلعَلامَةَ لَمْ تَكُنْ عَلى ٱلجِدارِ بِالأَمْسِ لِأَنَّني سَبَقَ أَنْ فَحَصْتُهُ ، وَبِهٰذا أَدْرَكْتُ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تَكونَ قَدْ وُضِعَتْ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « وَلٰكِنَّ ماكْفارْلين كانَ في ٱلسِّجْنِ ، فَكَيْفَ وُضِعَتْ ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تُلاحِظُ أَنَّ أُولْداكَر وَماكْفارْلين ، عِنْدَما كانا يَشْتَغِلانِ في ٱلأَوْراقِ ، ٱسْتَخْدَما كَمِّيَّةً مِنَ ٱلشَّمْعِ ٱلأَحْمَرِ لِإِغْلاقِ ٱلظُّروفِ . وَأَظُنُّ أَنَّ أُولْداكَر طَلَبَ مِنْ ماكْفارْلين أَنْ يَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلى ٱلشَّمْعِ بِحُجَّةِ ٱلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ ٱلظَّرْفَ قَدْ أُحْكِمَ إِغْلاقُهُ ، مِمّا جَعَلَ بَصْمَةَ ماكْفارْلين واضِحَةً عَلى ٱلشَّمْعِ ، وَفيما بَعْدُ ، ٱسْتَخْدَمَ أُولْداكَر مَزيدًا مِنَ ٱلشَّمْعِ لِكَيْ يَنْقُلَ بَصْمَةَ ماكْفارْلين إلى ٱلجِدارِ . وَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنَّهُ ٱسْتَخْدَمَ قَليلًا مِنَ ٱلدَّمِ مِنْ إِصْبَعِهِ هُوَ . »

قالَ لِيسْتْرِيد : « رائِعٌ ! رائِعٌ ! وَلٰكِنْ لِماذا فَعَلَ كُلَّ ذٰلِكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

وَشَعَرْتُ أَنّي أُريدُ أَنْ أَضْحَكَ حينَما رَأَيْتُ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ هٰذا – وَهُوَ ٱلَّذي كانَ مَزْهُوًّا فَخورًا بِنَفْسِهِ هٰذا ٱلصَّباحَ – يُوَجِّهُ أَسْئِلَةً كَما يَفْعَلُ طِفْلٌ يَتَحَدَّثُ إلى مُعَلِّمِهِ .

أَجابَهُ شِيرْلُوك هُولمْز : « هٰذا أَمْرٌ لا يَبْدو صَعْبًا . إِنَّ أُولْداكَر يَحْقِدُ عَلى أُمِّ ماكْفارْلين لِأَنَّها سَبَقَ أَنْ رَفَضَتِ ٱلزَّواجَ بِهِ . إِنَّكَ لَسْتَ عَلى عِلْمٍ بِهٰذا ٱلأَمْرِ يا لِيسْتْرِيد ، لِأَنَّكَ لَمْ تَقُمْ بِزِيارَةِ بْلاكْهِيث قَطُّ . إِنَّ أُولْداكَر رَجُلٌ خَبيثٌ وَماكِرٌ ، وَلَقَدِ ٱنْتَظَرَ سَنَواتٍ طَويلَةً حَتّى تَسْنَحَ لَهُ ٱلفُرْصَةُ لِيُتْعِسَ ٱلسَّيِّدَةَ ماكْفارْلين . لَقَدْ خَطَّطَ لِكَيْ يَشْنُقَ ٱبْنَها وَيَحْصُلَ هُوَ – في نَفْسِ ٱلوَقْتِ – عَلى بَعْضِ ٱلمالِ . »

سَأَلَ لِيسْتْرِيد : « يَحْصُلُ عَلى بَعْضِ ٱلمالِ ! كَيْفَ ؟ »

قالَ هُولمْز «لَقَدْ كَشَفَتِ ٱلأَوْراقُ ٱلَّتي فَحَصْناها أَنَّ أُولْداكَر يُواجِهُ أَزَماتٍ مالِيَّةً ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَفِيَ تَهَرُّبًا مِنْ دائِنيهِ . لَقَدْ سَدَّدَ قَدْرًا كَبيرًا مِنَ ٱلمالِ إِلى ذٰلِكَ ٱلَّذي يُدْعى كُورْنيلْياس ، وَأَنا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا يَحْمِلُ هٰذا ٱلإِسْمَ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ أُولْداكَر كانَ يَعْتَزِمُ أَنْ يُغَيِّرَ ٱسْمَهُ إِلى كُورْنيلْياس بَعْدَ أَنْ يَخْتَفِيَ .

«إِنَّ مَوْضوعَ ٱلوَصِيَّةِ كانَ يُقْصَدُ بِهِ إِيجادُ دافِعٍ يُبَرِّرُ ٱتِّهامَ ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين بِقَتْلِهِ ، أَمّا ٱلحَريقُ فَقَدْ قُصِدَ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَتْ هُناكَ حاجَةٌ إِلى ٱلعُثورِ عَلى جُثَّةِ ٱلقَتيلِ . وَكانَ يَفْتَرِضُ - بَعْدَ مُضِيِّ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلزَّمَنِ - أَنَّ ٱلنّاسَ سَوْفَ يَنْسَوْنَ جُوناس أُولْداكَر . أَمّا كُورْنيلْياس فَسَوْفَ يُقيمُ ، بِالطَّبْعِ ، في جُزْءٍ آخَرَ مِنْ إِنْجِلْتِرا ، أَوْ بَلَدٍ آخَرَ . الواقِعُ أَنَّها خُطَّةٌ ذَكِيَّةٌ ٱبْتَكَرَها داهِيَةٌ خَبيثٌ . أَمّا ٱلآنَ يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد ، فَدَعْنا نَذْهَبُ لِنُوَجِّهَ إِلَيْهِ سُؤالًا أَوْ سُؤالَيْنِ .»

هَبَطْنا إِلى ٱلحُجْرَةِ ٱلَّتي كانَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ يَحْتَجِزونَ فيها جُوناس أُولْداكَر . وَعِنْدَما رَآنا رَدَّدَ ما قالَهُ مِنْ قَبْلُ : «إِنَّما فَعَلْتُ ما فَعَلْتُ عَلى سَبيلِ ٱلدُّعابَةِ فَحَسْبُ . إِنَّني لَمْ أُرِدِ ٱلإِضْرارَ بِالسَّيِّدِ ماكْفارْلين .»

قالَ لِيسْتْرِيد : «أَوَ تَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ هٰذا ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلسِّجْنَ مَصيرُكَ يا سَيِّدُ أُولْداكَر .»

أَضافَ هُولمْز : «وَأَنا أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلشُّرْطَةَ سَوْفَ تَسْتَوْلي عَلى جَميعِ أَمْوالِ ٱلسَّيِّدِ كُورْنيلْياس أَيْضًا .»

تَطَلَّعَ أُولْداكَر إِلى هُولمْز وَقالَ في صَوْتٍ شَديدِ ٱلغَضَبِ : «سَوْفَ أَقْتُلُكَ يا شِيرْلُوك هُولمْز .»

إِبْتَسَمَ هُولمْز وَقالَ : «إِنَّكَ لَسْتَ أَوَّلَ رَجُلٍ يَقولُ لي ذٰلِكَ . وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَكونُ مَشْغولًا جِدًّا في ٱلسِّجْنِ ، بِحَيْثُ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ في ٱلسَّنَواتِ ٱلقَليلَةِ ٱلقادِمَةِ . وَقَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ ، لَدَيَّ سُؤالٌ أُريدُ أَنْ أُوَجِّهَهُ إِلَيْكَ :

«ما ٱلَّذي أَحْرَقْتَهُ مَعَ ٱلأَخْشابِ لِتَجْعَلَ طَبيبَ ٱلشُّرْطَةِ يَظُنُّ أَنَّ جِسْمًا آدَمِيًّا هُوَ ٱلَّذي أُحْرِقَ ؟ أَكانَ كَلْبًا مَيِّتًا ؟ أَمْ لَعَلَّها بَعْضُ ٱلأَرانِبِ ؟»

لَمْ يُجِبْ أُولْداكَر عَنِ ٱلسُّؤالِ ، وَإِنَّما جَلَسَ صامِتًا وَٱلغَضَبُ يَبْدو عَلى وَجْهِهِ . أَمّا هُولمْز فَقَدْ ضَحِكَ وَقالَ مُخاطِبًا واطْسُن :

«إِنَّهُ لا يَرْغَبُ في ٱلإِجابَةِ يا واطْسُن . عَلى كُلِّ حالٍ ، لَيْسَ ٱلأَمْرُ بِذي بالٍ . وَلٰكِنْ إِذا أَرَدْتَ يَوْمًا أَنْ تَكْتُبَ قِصَّةَ بَنّاءِ نُورْوُود ٱلمُخْتَفي ، فَإِنَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَقولَ إِنَّها كانَتْ أَرانِبَ .»

سِرُّ التَّماثِيلِ السِّتَّةِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

كانَ السَّيِّدُ لِيسْترِيد ، أَحَدُ رِجالِ سْكُوتْلانْديارْد – إدارةُ المَباحِثِ في شُرْطَةِ لَنْدَن – كَثيرًا ما يَزورُ صَديقي شِرْلُوك هُولمْز وَأنا مَعَهُ . وَكانَتْ زِيارَتُهُ عادةً في المَساءِ . وَكانَ هُولمْز يَسْتَمْتِعُ بِحَديثِهِ مَعَ لِيسْترِيد ؛ إذْ كانَ هٰذا الحَديثُ يُزَوِّدُهُ بِمَعْلوماتٍ مُفيدةٍ عَمَّا يَقَعُ مِنْ أَحْداثٍ في أَهَمِّ مَرْكَزٍ لِلمَباحِثِ في لَنْدَن .

كانَ لِيسْترِيد يُحِبُّ هٰذِهِ الزِّياراتِ كَذٰلِكَ ؛ إذْ كانَ يَجِدُ في هُولمْز رَجُلَ مَباحِثَ مُمْتازًا ، يُصْغي بِاهْتِمامٍ إلى لِيسْترِيد حِينَما تَكونُ لَدَيْهِ قَضِيَّةٌ عَويصةٌ ، وَكَثيرًا ما تَمَكَّنَ هُولمْز مِنْ تَقْديمِ العَوْنِ لَهُ .

في إحْدَى هٰذِهِ الزِّياراتِ المَسائِيَّةِ ظَلَّ لِيسْترِيد يَتَحَدَّثُ فَتْرَةً طَويلةً عَنِ الطَّقْسِ ، وَعَنْ مَسائِلَ أُخْرى لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الحَديثِ فَجْأَةً . وَجَلَسَ صامِتًا وَقَدِ اسْتَغْرَقَ في تَفْكيرٍ عَميقٍ . وَلَقَدْ أَثارَ صَمْتُهُ وَتَفْكيرُهُ اهْتِمامَ هُولمْز ؛ فَسَأَلَهُ : « أَلَدَيْكَ اليَوْمَ قَضِيَّةٌ مُهِمَّةٌ أُعاوِنُكَ فيها ؟ »

أَجابَ رَجُلُ المَباحِثِ : « حَسَنًا يا سَيِّدُ هُولمْز ؛ هُناكَ مَسْأَلَةٌ ، وَلٰكِنْ يَبْدو أَنَّها لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، وَلا أُريدُ أَنْ أَشْغَلَكَ بِها . إنَّني أَعْلَمُ أَنَّكَ

شَغوفٌ بِالمَسائِلِ الصَّعْبةِ ؛ وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ تَهُمُّ الدُّكْتور واطْسُن أَكْثَرَ مِمَّا تَهُمُّكَ أَنْتَ . »

اِعْتَرَتْني الدَّهْشَةُ حينَما قالَ لِيسْترِيد ذٰلِكَ . فَأَنا طَبيبٌ وَلَسْتُ رَجُلَ مَباحِثَ ، وَلِذٰلِكَ سَأَلْتُ : « ما الأَمْرُ ؟ أَهُناكَ مَريضٌ ؟ »

كانَ جَوابُ لِيسْترِيد : « نَعَمْ ، أَظُنُّ ذٰلِكَ .. أَظُنُّ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا مَريضًا جِدًّا ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا الشَّخْصَ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مَجْنونًا . »

ثُمَّ مَضى يَرْوي لَنا قِصَّةَ شَخْصٍ دَأَبَ عَلى الاسْتيلاءِ عَلى تَماثيلَ نِصْفِيَّةٍ مِنَ الجَصِّ لِنابُلْيون بونابَرْت . يَسْتَوْلي عَلَيْها ، ثُمَّ يُهَشِّمُها بَعْدَ ذٰلِكَ . وَاسْتَمَرَّ لِيسْترِيد في حَديثِهِ فَقالَ :

« مُنْذُ أَرْبَعةِ أَيَّامٍ ذَهَبَ هٰذا الشَّخْصُ إلى مَتْجَرٍ في شارِعِ كِينْغْتُود يَمْلِكُهُ مُورْس هَدْسون يَبيعُ فيهِ الأَعْمالَ الفَنِّيَّةَ كَالرُّسومِ وَغَيْرِها . وَانْتَهَزَ هٰذا الشَّخْصُ فُرْصةَ انْشِغالِ صاحِبِ المَتْجَرِ وَأَخَذَ تِمْثالًا نِصْفِيًّا لِنابُلْيون وَهَشَّمَهُ ، ثُمَّ فَرَّ هارِبًا .. لا بُدَّ أَنَّهُ يُبْغِضُ نابُلْيون بُغْضًا شَديدًا . »

تَساءَلَ هُولمْز : « تُرى ، ما سِرُّ اهْتِمامِكَ الشَّديدِ بِهٰذا المَوْضوعِ ؟ »

أَجابَ لِيسْترِيد : « لِأَنَّهُ كَرَّرَ فَعْلَتَهُ مَرَّةً أُخْرى . فَبِالأَمْسِ اقْتَحَمَ مَنْزِلَ أَحَدِ الأَطِبَّاءِ – دُكْتور بارْنيكوت – وَهُوَ مِنَ الَّذينَ يُكِنُّونَ إعْجابًا شَديدًا لِنابُلْيون . وَكانَ الطَّبيبُ قَدِ اشْتَرى تِمْثالَيْنِ نِصْفِيَّيْنِ مِنْ مَتْجَرِ مُورْس هَدْسون . فَاحْتَفَظَ بِواحِدٍ مِنْهُما في مَنْزِلِهِ ، وَوَضَعَ الآخَرَ في العِيادةِ الَّتي

يَعْمَلُ بِها قَرِيبًا مِنْ وَسَطِ لَنْدَن . وَهٰكَذا سَطا ٱللِّصُّ عَلى ٱلْمَنْزِلِ وَٱسْتَوْلى عَلى ٱلتِّمْثالِ ، وَهَشَّمَهُ عَلى سُورِ ٱلحَديقَةِ . وَقَدِ ٱكْتَشَفَ الدُّكْتور بارْبيكُوت تِمثالَهُ ٱلْمُهَشَّمَ حينما ٱسْتَيْقَظَ في ٱلصَّباحِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلى ٱلعِيادَةِ حَوالَى ٱلسَّاعَةِ ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ ظُهْرًا فُوجِئَ بِالتِّمْثالِ ٱلآخَرِ مُهَشَّمًا كَذٰلِكَ . »

قالَ هُولمْز : « إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُثيرٌ حَقًّا ! هَلْ هَشَّمَ ٱللِّصُّ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ ، أَوِ ٱسْتَوْلى عَلى شَيْءٍ ؟ »

« لا ، لَمْ يَفْعَلْ . »

« وَهَلْ كانَتِ ٱلتَّماثيلُ ٱلثَّلاثَةُ مُتَشابِهَةً تَمامًا ؟ »

« أَجَلْ . »

قالَ هُولمْز : « رُبَّما كانَ ٱللِّصُّ مُهْتَمًّا بِهٰذِهِ التَّماثيلِ ، وَلَيْسَ بِنابُلْيُون ذاتِهِ . »

قالَ لِيسْتريد : « هٰذا مُحْتَمَلٌ ، وَلٰكِنْ أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ ٱلكَثيرَ مِنْ تَماثيلِ نابُلْيون في هٰذِهِ ٱلمِنْطَقَةِ مِنْ لَنْدَن ، وَلِذٰلِكَ فَلَنْ نَسْتَطيعَ ٱلتَّأَكُّدَ مِنْ هٰذا ٱلأَمْرِ . »

اِلْتَفَتُّ إِلَى ٱلسَّيِّدِ لِيسْتْريد مُتَسائِلًا : « ما رَأْيُكَ أَنْتَ في كُلِّ ذٰلِكَ ؟ »

كانَ جَوابُهُ : « لَسْتُ أَدْري يا دُكْتور واطسن ! لَسْتُ أَدْري ! »

الفصلُ الثّاني

في صَبيحَةِ ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي كُنْتُ أَرْتَدي مَلابِسي حينَما دَخَلَ هُولمْز غُرْفَتي وقالَ : « لِيسْتريد يُريدُ أَنْ يَرانا حالًا . إِنَّهُ يَنْتَظِرُنا في مَنْزِلٍ بِشارِعِ كِينْسِينْغتون . »

اِرْتَدَيْتُ مَلابِسي عَلى عَجَلٍ ، وَتَناوَلْنا بَعْضَ ٱلقَهْوَةِ ، وَسارَعْنا إِلى كِينْسِينْغتون .

كانَ ٱلمَنْزِلُ يَقَعُ في شارِعٍ هادِئٍ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ وَسَطِ مَدينَةِ لَنْدَن ٱلْمُزْدَحِمِ . وَفي ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ كانَ هُناكَ جَمْعٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلنّاسِ يَقِفونَ بِالخارِجِ . وَقالَ هُولمْز : « يَبْدو كَما لَوْ أَنَّ أَمْرًا سَيِّئًا قَدْ حَدَثَ هُنا . »

كانَ لِيسْتْريد في ٱنْتِظارِنا . وَكانَتْ تَبْدو عَلَيْهِ مَظاهِرُ ٱلجِدِّيَّةِ البالِغَةِ ، وَٱسْتَرْعى نَظَري أَنَّ دِماءً كَثيرَةً تُلَطِّخُ ٱلأَرْضَ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ لِلْمَنْزِلِ . وَدَعانا لِيسْتْريد إِلى ٱلدُّخولِ حَيْثُ ٱلتَقَيْنا الرَّجُلَ ٱلَّذي يَسْكُنُهُ وَٱسْمُهُ هُوارس هارْكَر ، وَهُوَ يَعْمَلُ بِالصَّحافَةِ ؛ لٰكِنَّهُ في هٰذا ٱلْيَوْمِ بَدا بالِغَ ٱلِاضْطِرابِ حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْتُبَ لِصَحيفَتِهِ عَمّا حَدَثَ .

وَجَّهَ لِيسْتْريد إِلَيْهِ ٱلخِطابَ قائِلًا : « أَرْجو أَنْ تُخْبِرَنا بِكُلِّ ما تَعْرِفُ يا سَيِّدُ هارْكَر . »

شَرَعَ ٱلسَّيِّدُ هارْكَر يَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ يَشوبُهُ ٱلفَزَعُ فَقالَ : « مُنْذُ أَرْبَعَةِ

أشْهُرٍ آشْتَرَيْتُ تِمثالًا نِصْفيًّا لِنابُلْيون مِنْ مَتْجَرِ آلإخوةِ هارْدِنغ في هاي ستريت . وَلَيْلَة أمْسِ أفقْتُ مِنْ نَوْمي على صَيْحةٍ مُدَوِّيةٍ شَقَّتْ سُكونَ آللَّيْلِ حَوالى آلسَّاعةِ آلثَّالِثةِ صَباحًا . وَمَعَ أنِّي كُنْتُ خائفًا ، فَقَدْ نَزَلْتُ لِأرى هَلْ هُناكَ أحَدٌ . وَلَمْ أجِدْ أحَدًا في آلغُرْفةِ ، وَلٰكِنِّي آكتَشَفْتُ أنَّ تِمْثالَ نابُلْيون قَدِ آختفى ، وسارَعْتُ لِأسْتَدْعِيَ شُرْطِيًّا . وَما كِدْتُ أفْتَحُ آلبابَ حَتَّى وَجَدْتُ جُثَّةَ رجُلٍ مَيْتٍ . وَكانَتْ مُلَطَّخةً بِالدِّماءِ حَتَّى لَقَدْ أحْسَسْتُ بِالغَثَيانِ لِمَرْآها . »



سَألَهُ هُولمْز : « مَنْ هُوَ آلرَّجُلُ آلمَيْتُ ؟ »

أجابَ لِيسْترِيد : « لا نَعْرِفُ . كُلُّ ما كانَ بِحَوْزَتِهِ خَريطةٌ رَخيصةٌ لِمَدينةِ لَنْدَن ، وَصورةٌ فوتوغْرافِيَّةٌ لِرَجُلٍ قَبيحِ آلوَجْهِ ... غايةِ آلقُبْحِ ، وَكانَ بِجوارِهِ سِكِّينٌ صَغيرٌ . لٰكِنِّي لا أعْرِفُ هَلِ آسْتُخْدِمَ هٰذا آلسِّكِّينُ في قَتْلِهِ أمْ لا ؟ »

سَألَ هُولمْز : « وَماذا عَنْ تِمْثالِ نابُلْيون ؟ »

أجابَ لِيسْترِيد : « وَجَدْناهُ عَلى مَقْرُبةٍ مِنْ هُنا في حَديقةِ مَنْزِلٍ مَهْجورٍ ، وَكانَ مُهَشَّمًا ... تَمامًا كَما حَدَثَ لِلتَّماثيلِ آلأُخْرى . »

اتَّجَهْنا ثلاثَتُنا أنا وَهُولمْز وَلِيسْترِيد - لِكَيْ نُلْقِيَ نَظْرةً عَلى آلتِّمْثالِ آلمُهَشَّمِ . أمَّا آلسَّيِّدُ هارْكَر فَقَدْ بَقِيَ في آلمَنْزِلِ لِكَيْ يَكْتُبَ شَيْئًا عَنِ آلحادِثِ لِصَحيفَتِهِ ؛ إذْ إنَّ حالَتَهُ قَدْ تَحَسَّنَتِ آلآنَ بَعْضَ آلشَّيْءِ ، وَلَسَوْفَ تَكونُ آلقِصَّةُ آلَّتي يَكْتُبُها مُثيرةً لا شَكَّ .

الفَصْلُ آلثَّالِثُ

وَصَلْنا إلى آلمَنْزِلِ آلمَهْجورِ سَريعًا ، وَكانَتْ قِطَعُ آلتِّمْثالِ مُتَناثِرةً عَلى آلعُشْبِ بِجوارِ جِدارِ آلحَديقةِ . وَآلتَقَطَ هُولمْز بَعْضَ آلقِطَعِ وَأخَذَ يَفْحَصُها بِعِنايةٍ .

قالَ لِيسْترِيد مُتَسائلًا : « ما رَأْيُكَ ؟ »

نَظَرَ إِلَيْهِ هُولْمز قائلًا : « هُناكَ ٱلكَثيرُ عَلَيْنا أَنْ نَقومَ بِهِ ، لٰكِنْ أَمامَنا ٱلآنَ بَعْضُ أَسْئِلَةٍ هامَّةٍ لا بُدَّ أَنْ نُفَكِّرَ في إِجاباتٍ لَها . فَمَثَلًا : كَيْفَ يُغامِرُ رَجُلٌ بِقَتْلِ آخَرَ في سَبيلِ ٱلحُصولِ عَلى تِمثالٍ رَخيصٍ كَهٰذا ٱلتِّمْثالِ ؟ وَ أَمْرٌ آخَرُ : إِذا كانَ هَدَفُهُ تَحْطيمَ ٱلتِّمْثالِ فَحَسْبُ ، فَلِماذا لَمْ يُحَطِّمْهُ داخِلَ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ؟ لِماذا يَأْخُذُهُ بَعيدًا ؟ »

عَقَّبَ لِيسْترِيد قائلًا : « لَعَلَّهُ حَمَلَهُ بَعيدًا لِأَنَّهُ كانَ يَخْشى أَنْ يُفاجِئَهُ ٱلسَّيِّدُ هارْكَر . »

قالَ هُولمْز : « رُبَّما يَكونُ هٰذا هُوَ ٱلسَّبَبَ ، وَلٰكِنْ لِماذا أَتى بِهِ إِلى هٰذا ٱلمَنْزِلِ بِالذَّاتِ وَلَيْسَ إِلى أَيِّ مَنْزِلٍ آخَرَ ؟ »

رَدَّ لِيسْترِيد : « لِأَنَّ هٰذا ٱلمَنْزِلَ مَهْجورٌ . »

قالَ هُولمْز : « لٰكِنَّ هُناكَ مَنْزِلًا آخَرَ مَهْجورًا في الشَّارِعِ نَفْسِهِ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، فَلِماذا لَمْ يُحَطِّمْهُ هُناكَ ؟ »

أَجابَ لِيسْترِيد : « حَقًّا ، لَسْتُ أَدْري . »

أَشارَ هُولمْز إِلى أَنْوارِ ٱلشَّارِعِ ٱلَّتي فَوْقَ رُؤوسِنا وَقالَ : « السَّبَبُ هُوَ أَنَّهُ كانَ يَسْتَطيعُ هُنا أَنْ يَرى ما هُوَ فاعِلٌ ، أَمَّا حَديقَةُ ٱلمَنْزِلِ ٱلآخَرِ فَمُظْلِمَةٌ . »

صاحَ رَجُلُ ٱلمَباحِثِ : « يا لَلسَّماءِ ! هٰذا صَحيحٌ ! ثُمَّ تَساءَلَ : « وَلٰكِنْ كَيْفَ يُساعِدُنا ذٰلِكَ في ٱلقَضِيَّةِ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

أَجابَ صَديقي هُولمْز : « حَتَّى ٱلآنَ لا أَدْري ، وَلٰكِنَّني سَوْفَ أَظَلُّ أَذْكُرُ ٱلمَوْضوعَ . تُرى ماذا سَتَفْعَلُ بَعْدَ هٰذا يا سَيِّدُ لِيسْترِيد ؟ »

قالَ لِيسْترِيد : « أُريدُ أَنْ أَهْتَدِيَ أَوَّلًا إِلى شَخْصِيَّةِ ٱلقَتيلِ . وَمِنْ ثَمَّ أَسْتَطيعُ أَنْ أَعْرِفَ سَبَبَ وُجودِهِ في كِينْسِنْغتون في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ، وَمَنِ ٱلَّذي ٱلْتَقى بِهِ وَقَتَلَهُ خارِجَ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر . أَلَسْتَ تَرى أَنَّ هٰذِهِ فِكْرَةٌ سَديدَةٌ ؟ »

أَجابَ هولمْز : « سَوْفَ أَتَصَرَّفُ عَلى طَريقَتي ، وَتَسْتَطيعُ أَنْتَ أَنْ تَتَصَرَّفَ عَلى طَريقَتِكَ ، ثُمَّ نَلْتَقي لِنَتَحَدَّثَ عَنِ ٱلقَضِيَّةِ فيما بَعْدُ . »

قالَ لِيسْترِيد : « هُوَ كَذٰلِكَ . »

ثُمَّ تَوَجَّهَ شِيرْلُوك هُولمْز إِلى لِيسْترِيد بِعبارَةٍ غَريبَةٍ ؛ إِذْ قالَ لَهُ : « إِذا رَأَيْتَ ٱلسَّيِّدَ هارْكَر فَأَرْجو أَنْ تُبَلِّغَهُ أَنَّ مَجْنونًا خَطِرًا يَبْغُضُ نابُلْيون كانَ في مَسْكَنِهِ في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ . »

أَخَذَتْ لِيسْترِيد ٱلدَّهْشَةُ فَقالَ : « أَوَ تَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّ ٱلأَمْرَ كَذٰلِكَ ؟ »

ضَحِكَ هُولمْز وَقالَ : « لا ! لا ! وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ قُرَّاءَ صَحيفَةِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر سَوْفَ يَقْرَأُونَ أَخْبارًا مُثيرَةً . وَٱلآنَ لا بُدَّ أَنْ نَذْهَبَ ، وَلٰكِنْ أَرْجو أَنْ تَزورَنا في مَسْكَنِنا في شارِعِ بيكر في ٱلسَّاعَةِ ٱلسَّادِسَةِ مَساءَ ٱليَوْمِ . وَلَعَلَّكَ تَأْذَنُ لي يا سَيِّدُ لِيسْترِيد أَنْ أَحْتَفِظَ بِالصُّورَةِ ٱلفُوتُوغْرافِيَّةِ ٱلَّتي وُجِدَتْ مَعَ





ٱلقتيلِ إلى أَنْ نَلتقيَ . وَحينَما تأْتي إلى شارِع بيكر أَرْجو أَنْ تكونَ مُستَعِدًا للذَّهابِ مَعي إلى مَكانٍ ما . وَإلى أَنْ نَلْتقيَ .. أَستَوْدِعُكَ ٱللّهَ ، وَأَرْجو لَكَ ٱلتَّوفيقَ . »

الفَصْلُ ٱلرَّابِعُ

سِرْتُ مَعَ شيرْلوك هُولمْز إلى هاي ستريت وَتَوَقَّفنا عِنْدَ مَتْجَرِ ٱلإِخوةِ

هارْدِنغ . وَكانَ عَدَمُ وُجودِ السَّيِّدِ هارْدِنغ مَبْعَثَ ضيقٍ لِهولمْز ، وَلِذٰلِكَ قَرَّرَ أَنْ يَزورَ ، بَدَلًا مِنْهُ ، مَتْجَرَ مُورْس هَدْسون ٱلّذي ٱشتَرى مِنْهُ الدُّكتور بارْنيكُوت تِمْثالَيْهِ .»

كانَ مورْس هَدْسون غاضِبًا أَشَدَّ ٱلغَضَبِ بِسَبَبِ تَحْطيمِ التِّمْثالَيْنِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ أَجابَ عَنْ كُلِّ ما وَجَّهَهُ إِلَيْهِ هُولمْز مِنْ أَسْئِلةٍ . فَقَدْ دَلَّنا على ٱلمَكانِ ٱلّذي تُصْنَعُ فيهِ ٱلتَّماثيلُ ٱلصَّفيَّةُ ، وَكانَ قَدِ ٱشْتَرى بَعْضَها مِنْهُ ، وَٱسمُهُ عِيلْدر وَشُركاهُ ، وَيَقَعُ في حَيٍّ آخَرَ مِنْ أَحْياءِ لَنْدَن . ثُمَّ قالَ إِنَّهُ لَنْ يَستَطيعَ أَنْ يُساعِدَنا كَثيرًا فيما نَقومُ بِهِ مِنْ تَحرِّياتٍ ، وَلٰكِنْ حينَما أَطْلَعَهُ هُولمْز على ٱلصُّورَةِ ٱلفوتوغرافيَّةِ صاحَ : « هٰذا بِپُو . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنْ هُوَ بِپُو ؟ »

أَجابَ : « هُوَ إيطاليٌّ كانَ يَعْمَلُ في مَتْجَري ، وَلٰكِنَّهُ تَرَكَ ٱلعَمَلَ في ٱلأُسْبوعِ ٱلماضي ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ ذَهَبَ بَعْدَ ذٰلِكَ . » ثُمَّ أَضافَ قائِلًا : « لَقَدْ تَرَكَ ٱلعَمَلَ قَبْلَ حادِثِ تَحْطيمِ ٱلتِّمْثالَيْنِ بِيَوْمَيْنِ فَرُبَّما يَكونُ هُوَ ٱلّذي قامَ بِتَحْطيمِها »

غادَرْنا مَتْجَرَ مُورْس هَدْسون بَعْدَ أَنْ شَكَرْناهُ . وَكانَ هُولمْز سَعيدًا كُلَّ ٱلسَّعادةِ بِالمَعْلوماتِ ٱلّتي زَوَّدَنا بِها صاحِبُ ٱلمَتْجَرِ ، وَقَرَّرَ أَنْ تَكونَ ٱلخُطْوَةُ ٱلتّاليةُ زِيارَةَ عِيلْدر وَشُركاهُ ، وَهُوَ ٱلمَصْنَعُ ٱلّذي تُصْنَعُ فيهِ ٱلتَّماثيلُ .

اجْتَزْنا خِلالَ رِحْلَتِنا مَناطِقَ كَثيرةً مِنْ لَنْدَن ، مِنْها ما يَبْدو عَلَيْهِ الغِنى وَالثَّراءُ ، وَمِنْها ما يَبْدو عَلَيْهِ الفَقْرُ وَالبُؤْسُ ، حَتّى وَصَلْنا أَخيرًا إِلى سْتِبْني . وَهِيَ مِنْطَقَةٌ كانَتْ في وَقْتٍ ما مِنَ المَناطِقِ الغَنِيَّةِ ، أَمّا اليَوْمَ فَإِنَّ الَّذينَ يَسْكُنونَها مِنْ طَبَقَةِ العُمّالِ الفُقَراءِ ، وَكَثيرٌ مِنْهُم وافِدونَ إِلَيْها مِنْ بِلادٍ أُخْرى .

سُرْعانَ ما اهْتَدَيْنا إِلى مَتْجَرِ غِيلْدَر وَشُرَكاهُ ، وَكانَ الرَّجُلُ الَّذي اسْتَقْبَلَنا وَتَحَدَّثَ إِلَيْنا أَلْمانِيًّا . وَقَدْ أَخْبَرَنا أَنَّهُمْ صَنَعوا مِئاتٍ مِنْ هٰذِهِ التَّماثيلِ فيما مَضى ، أَمّا في هٰذا العامِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُنْتِجوا إِلّا سِتَّةً فَقَطْ ، ثَلاثَةٌ مِنْها بيعَتْ لِمورْس هَدْسون ، وَثَلاثَةٌ لِإِخْوانِ هارْدِنغ . كَما أَخْبَرَنا أَنَّ تَكْلِفَةَ صُنْعِها زَهيدَةٌ ، وَأَنَّ مُعْظَمَ العُمّالِ الَّذينَ يَقومونَ بِصُنْعِها مِنَ الإِيطالِيّينَ .
وَحينَما أَطْلَعَهُ هولْمْز عَلى صورَةِ الإِيطالِيِّ القَبيحِ غَضِبَ وَصاحَ : « هٰذا الرَّجُلُ سَيِّئٌ جِدًّا ، اسْمُهُ بِيو وَكانَ يَعْمَلُ هُنا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عامٍ . »

سَأَلَهُ هولْمْز : « لِماذا تَرَكَ العَمَلَ عِنْدَكُمْ ؟ »

أَجابَ الأَلْمانِيُّ : « لَقَدِ اعْتَدى عَلى إِيطالِيٍّ آخَرَ وَحاوَلَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِسِكّينٍ في الشّارِعِ . وَقَدْ تَعَقَّبَهُ رِجالُ الشُّرْطَةِ إِلى هُنا وَاعْتَقَلوهُ ، وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ سَنَةً واحِدَةً لِأَنَّ الإِيطالِيَّ المُعْتَدى عَلَيْهِ لَمْ يَمُتْ . » وَاسْتَطْرَدَ يَقولُ : « إِنَّ أَحَدَ أَصْدِقائِهِ يَعْمَلُ مَعَنا الآنَ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ؟ »

أَجابَ هولْمْز : « لا ! لا ! أَرْجو أَلّا تُخْبِرَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ .. أَرْجوكَ فَإِنَّ لِلْأَمْرِ أَهَمِّيَّةً كَبيرَةً . »

قالَ الرَّجُلُ : « كَما تَشاءُ يا سَيِّدُ هولْمْز . »

قالَ هولْمْز : « لَدَيَّ سُؤالٌ آخَرُ : لَقَدْ لاحَظْتُ في سِجِلّاتِكَ أَنَّ التَّماثيلَ قَدْ بيعَتْ في اليَوْمِ الثّالِثِ مِنْ شَهْرِ يونْيَه (حَزيرانَ) في العامِ الماضي ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني مَتى اعْتَقَلَتِ الشُّرْطَةُ بِيو ؟ »

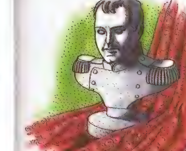
قالَ الرَّجُلُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ كانَ آخِرُ أَجْرٍ تَقاضاهُ بِيو مِنّي في العِشْرينَ مِنْ مايو (أَيّارَ) في العامِ الماضي . فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ قَدِ اعْتُقِلَ بَعْدَ ذٰلِكَ مُباشَرَةً . »

قالَ هولْمْز : « شُكْرًا جَزيلًا ، لَقَدْ كُنْتَ ذا عَوْنٍ كَبيرٍ لي . لا بُدَّ أَنْ أَنْصَرِفَ الآنَ ، وَأَرْجو أَلّا تَنْسى ما قُلْتُهُ لَكَ : لا تُخْبِرْ صَديقَ بِيو بِأَيِّ شَيْءٍ . »

كانَ الوَقْتُ قَدْ قارَبَ العَصْرَ ، وَكانَ الجوعُ قَدْ بَلَغَ مِنّا ما بَلَغَ ، وَلِذٰلِكَ رَأَيْنا أَنْ نَتَناوَلَ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ في أَحَدِ المَطاعِمِ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ . وَاشْتَرى هولْمْز إِحْدى الصُّحُفِ ، وَقَرَأْنا فيها القِصَّةَ المُثيرَةَ الَّتي كَتَبَها السَّيِّدُ هارْكَر عَنِ المَجْنونِ الَّذي يُبْغِضُ نابِلْيون . وَكانَ مُعْظَمُ ما جاءَ في القِصَّةِ غَيْرَ صَحيحٍ ، وَلٰكِنَّ هولْمْز أَخَذَ يَضْحَكُ وَيَضْحَكُ ، عَلى أَساسِ أَنَّ المَسْأَلَةَ لا تَعْدو أَنْ تَكونَ دُعابَةً لَطيفَةً .

قالَ هولْمْز : « مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَجْعَلَ هٰؤُلاءِ النّاسَ يُعاوِنونَنا يا واطْسُن . »

في الحَقيقَةِ ، لَمْ أَفْهَمْ ماذا قَصَدَ بِهٰذِهِ العِبارَةِ ، وَلٰكِنّي شارَكْتُهُ في

ٱلضَّحِكِ مِنَ ٱلقِصَّةِ ٱلسَّاذَجَةِ ٱلَّتي قَرَأناها في ٱلصَّحيفَةِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغْنا مِنْ طَعامِنا ٱتَّجَهْنا مُباشَرَةً إلى مَتْجَرِ ٱلإخوةِ هارْدِنغ ، وَكانَ ٱلسَّيِّدُ هارْدِنغ رَجُلًا ضَئيلَ ٱلجِسْمِ ، كَثيرَ ٱلمَشاغِلِ ، وَأَخَذَ يُجيبُ عَنْ أَسْئِلَتِنا بِسُرْعَةٍ وَوُضوحٍ ، وَتَبَيَّنَ مِنْ حَديثِنا مَعَهُ أَنَّهُ باعَ تِمْثالًا لِلسَّيِّدِ هارْكَر ، وَهُوَ ٱلتِّمْثالُ ٱلَّذي هُشِّمَ . كما باعَ تِمْثالًا آخَرَ لِلسَّيِّدِ جُوسِياه براوِن ٱلَّذي يُقيمُ في تْشيزْوِيك بِلَنْدَن . أَمَّا ٱلتِّمْثالُ ٱلثّالِثُ فَقَدْ بيعَ لِلسَّيِّدِ

ساندفورْد ٱلَّذي يُقيمُ في ريدِنغ خارِجَ لَنْدَن .

بَدا واضِحًا عَلى هُولمْز ٱلاهْتِمامُ ٱلشَّديدُ بِهٰذِهِ ٱلمَعْلوماتِ ، وَقَدَّمَ ٱلشُّكْرَ لِلسَّيِّدِ هارْدِنغ . وَلَمّا كانَ ٱلوَقْتُ مُتَأَخِّرًا فَقَدْ بادَرْنا بِالعَوْدَةِ إلى شارِعِ بيكَر لِكَيْ نَسْتَقْبِلَ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ لِيسْتْرِيد .

ٱلفَصْلُ ٱلخامِسُ

عِنْدَما وَصَلْنا رَأَيْنا لِيسْتْرِيد في ٱنْتِظارِنا ، وَكانَ يَبْدو سَعيدًا راضِيًا .

بادَرَ لِيسْتْرِيد هُولمْز بِالسُّؤالِ : «هَلِ ٱهْتَدَيْتَ إلى شَيْءٍ مُهِمٍّ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟»

أَجابَ هُولمْز : «إنَّنا نَعْرِفُ ٱلكَثيرَ عَنِ ٱلتَّماثيلِ ٱلآنَ .»

قالَ لِيسْتْرِيد : «التَّماثيلُ ؟» ثُمَّ أَخَذَ يَضْحَكُ وَيَقولُ : «أَنا أَعْلَمُ أَنَّكَ مُخْبِرٌ ذَكِيٌّ يا سَيِّدُ هُولمْز . وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنّي ٱهْتَدَيْتُ إلى ما هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذٰلِكَ .»

قالَ هُولمْز : «إلامَ ٱهْتَدَيْتَ ؟»

أَجابَ لِيسْتْرِيد : «إنَّني أَعْرِفُ ٱلآنَ مَنْ هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَقْتولُ . وَأَعْتَقِدُ أَنّي ٱهْتَدَيْتُ إلى سَبَبِ قَتْلِهِ .»

قالَ هُولمْز مُبْتَسِمًا ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ بَقِيَّةَ ٱلحَديثِ : «عَظيمٌ جِدًّا يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد !»

إسْتَمَرَّ لِيسْتريد في حَديثِهِ فَقالَ : « لَدَيْنا في سكوتْلانْديارْد ضابِطُ مَباحِث يَعْرِفُ الْكَثيرَ مِنَ الإيطاليِّينَ الَّذينَ يُقيمونَ في لَنْدَن ، وَهُوَ يَعْرِفُ الْقَتيلَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، وَاسْمُهُ بِيتْرو فِينوتْشي . وَقَدْ كانَ لِصًّا خَطيرًا ، وَعُضْوًا في مُنَظَّمةِ المافيا الإيطاليَّةِ السِّرِّيَّةِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ عَمَلَهُ في الْمُنَظَّمةِ هُوَ مُعاقَبةُ أَعْضائِها الَّذينَ يَخْرُجونَ عَلى نِظامِها وَقَواعِدِها ، وَالْعِقابُ عادةً هُوَ الْقَتْلُ . وَلابُدَّ أَنَّ الرَّجُلَ صاحِبَ الصُّورةِ الْفُوتوغْرافيَّةِ كانَ قَدْ خَرَجَ عَلى قَواعِدِ الْمُنَظَّمةِ ، وَأَنَّ فِينوتْشي كانَ يُطارِدُهُ . وَيَبْدو أَنَّ عِراكًا قَدْ نَشِبَ بَيْنَهُما ، وَأَنَّ فِينوتْشي قُتِلَ في هٰذا الْعِراكِ . »

ابْتَسَمَ هُولمْز في وَجْهِ لِيسْتريد وَقالَ : « عَظيمٌ جِدًّا يا سَيِّدُ لِيسْتريد ! لَقَدْ كَشَفْتَ لي بِكُلِّ وُضوحٍ عَنْ سَبَبِ تَحْطيمِ التَّماثيلِ . »

قالَ لِيسْتريد بِصَوْتٍ يَكادُ يَكونُ صِياحًا : « هٰذِهِ التَّماثيلُ ! أَلا تَسْتَطيعُ أَنْ تَنْساها يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ إِنَّها لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ... إِنَّ تَحْطيمَها جَريمةٌ لا تَزيدُ عُقوبَتُها عَلى السِّجْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . إِنَّ بِيتْرو فِينوتْشي قَدْ قُتِلَ ، وَهٰذا وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَعْنيني . »

قالَ هُولمْز في هُدوءٍ : « إِنَّني أُدْرِكُ وِجْهةَ نَظَرِكَ . تُرى ماذا سَتَفْعَلُ بَعْدَ ذٰلِكَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « سَأَذْهَبُ إِلى الْمِنْطَقةِ الَّتي يُقيمُ فيها الإيطاليُّون في لَنْدَن لَعَلِّي أَهْتَدي إِلى صاحِبِ الصُّورةِ الفوتوغْرافيَّةِ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَذْهَبَ مَعي ؟ »

قالَ هُولمْز وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ الاهْتِمام : « لا ، شُكْرًا لَكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِسُهولةٍ وَيُسْرٍ في مَكانٍ آخَرَ اللَّيْلةَ . »

قالَ لِيسْتريد : « حَقًّا ؟ أَيْنَ ؟ »

قالَ هُولمْز : « في مَكانٍ في تْشيزْويك ، وَإِذا صَحِبْتَني اللَّيْلةَ فَسَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ غَدًا إِلى أَيِّ مَكانٍ تَشاءُ . »

اعْتَرَتْ لِيسْتريد الدَّهْشةُ ، لٰكِنَّهُ وافَقَ عَلى ما اقْتَرَحَهُ هُولمْز .

تَناوَلْنا مَعًا الْعَشاءَ مُبَكِّرًا . ثُمَّ طَلَبَ هُولمْز مِنّا – أَنا وَلِيسْتريد أَنْ نَجْلِسَ لِنَسْتَريحَ حَتّى الْحادِيةَ عَشْرةَ مَساءً .

الْحَقيقةُ أَنَّ هُولمْز لَمْ يَسْتَرِحْ ، وَإِنَّما قَضى الْوَقْتَ في غُرْفَتِهِ يَتَفَحَّصُ بَعْضَ الصُّحُفِ الْقَديمةِ الَّتي يَحْتَفِظُ بِالْكَثيرِ مِنْها في مَكْتَبِهِ . وَقَدْ جالَ في خاطِري أَنَّهُ رُبَّما كانَ يَبْحَثُ في هٰذِهِ الصُّحُفِ عَنْ مَعْلوماتٍ تَتَعَلَّقُ بِفِيوتْشي أَوْ بِيبّو .

الْفَصْلُ السّادِسُ

اِسْتَيْقَظْتُ أَنا وَلِيسْتريد في السّاعةِ الْعاشِرةِ وَالنِّصْفِ . كانَ هُولمْز في انْتِظارِنا ، وَطَلَبَ مِنّي أَنْ أُحْضِرَ مَعي مُسَدَّسي ، وَرَأَيْتُهُ ، قَبْلَ أَنْ نَتْرُكَ الْمَنْزِلَ ، يَلْتَقِطُ عَصاهُ الْمَتينةَ الْمُحَبَّبةَ الَّتي يَتَّكِئُ عَلَيْها .

رَكِبْنا ٱلسَّيّارَةَ عَلى عَجَلٍ إلى تْشِيزْوِيك حَيْثُ أَخَذَنا هُولمْز إلى مَنْزِلٍ في شارِعٍ مُظْلِمٍ . وَ خُيِّلَ إِلَيْنا أَنَّ سُكّانَ ٱلمَنْزِلِ لابُدَّ أَنْ يَكونوا قَدْ أَوَوْا إلى مَخادِعِهِمْ ، إذْ كانَ ٱلظَّلامُ ٱلحالِكُ وَ ٱلهُدوءُ ٱلشّامِلُ يُخَيِّمانِ عَلى ٱلمَنْزِلِ .

قالَ هُولمْز في صَوْتٍ خافِتٍ : « مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّ ٱلمَطَرَ لا يَهْطِلُ ، لِأَنَّنا قَدْ نُضْطَرُّ إلى ٱلانْتِظارِ فَتْرَةً طَويلَةً . وَ يَنْبَغي أَلّا نُدَخِّنَ ، وَ أَنْ نَكونَ في مُنْتَهى ٱلسُّكونِ ، وَلٰكِنْ عِنْدي أَمَلٌ أَنَّنا مُقْبِلونَ عَلى ٱكْتِشافِ شَيْءٍ ما ٱللَّيْلَةَ . »

اِنْقَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ . وَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَدْعو إلى أَنْ يَطولَ ٱنْتِظارُنا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، فَقَدْ رَأَيْنا بابَ ٱلحَديقَةِ يُفْتَحُ فَجْأَةً ، وَ لَمَحْنا رَجُلًا يُهَرْوِلُ عَبْرَ مَمَرِّ ٱلحَديقَةِ مُتَّجِهًا نَحْوَ ٱلمَنْزِلِ . كانَ ٱلظَّلامُ دامِسًا ، وَ كانَ ٱلرَّجُلُ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ ، حَتّى لَقَدْ كانَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ نَتَبَيَّنَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ ٱخْتَفى في ٱلظَّلامِ . أَمّا نَحْنُ فَقَدْ بَقينا نَنْتَظِرُ صامِتِينَ ، وَ كانَ أَوَّلُ ما سَمِعْنا بَعْدَ ذٰلِكَ هُوَ صَوْتَ نافِذَةٍ تُفْتَحُ في بُطْءٍ شَديدٍ ، ثُمَّ رَأَيْنا ضَوْءًا خافِتًا داخِلَ ٱلحُجْرَةِ ٱلأَمامِيَّةِ مِنْ حُجُراتِ ٱلمَنْزِلِ .

قالَ لِيسْتْرِيد : « هَلُمَّ بِنا إلى ٱلنّافِذَةِ ٱلمَفْتوحَةِ ، وَ مِنْ ثَمَّ نَسْتَطيعُ أَنْ نُمْسِكَ بِهِ حِينَما يَخْرُجُ . »

لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَتَحَرَّكَ رَأَيْنا ٱلرَّجُلَ يَتَّجِهُ إلى ٱلخارِجِ ثانِيَةً ، وَ ٱسْتَطَعْنا أَنْ نَلْمَحَ ، مِنْ خِلالِ ٱلضَّوْءِ ٱلمُنْبَعِثِ مِنَ ٱلحُجْرَةِ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا أَبْيَضَ تَحْتَ ذِراعِهِ ، وَ تَلَفَّتَ ٱلرَّجُلُ يَمْنَةً وَ يَسْرَةً لِيَرى هَلْ هُناكَ مَنْ يُراقِبُهُ . وَ فَجْأَةً

سَمِعْنا صَوْتَ ٱرْتِطامِ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذي كانَ يَحْمِلُهُ بِالجِدارِ لِيَتَهَشَّمَ وَ يُصْبِحَ حُطامًا . وَ كانَ ٱلرَّجُلُ مَشْغولًا بِما فَعَلَ حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَرَنا وَ نَحْنُ نَتَّجِهُ إِلَيْهِ .
وَ وَثَبَ هُولمْز عَلى ظَهْرِ ٱلرَّجُلِ فَهَوى إلى ٱلأَرْضِ بِشِدَّةٍ ، أَمّا أَنا ولِيسْتْرِيد فَقَدْ سارَعْنا لِمُعاوَنَةِ هُولمْز ، وَ كُنْتُ أُمْسِكُ بِمُسَدَّسي وَ أَنا مُسْتَعِدٌّ لِإطْلاقِهِ إذا ٱقْتَضى ٱلأَمْرُ . وَ هٰكَذا أَصْبَحَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ عَلى ٱلرَّجُلِ أَنْ يُفْلِتَ وَ يَهْرُبَ .

تَطَلَّعَ إِلَيْنا وَ هُوَ مُمَدَّدٌ عَلى ٱلأَرْضِ . وَ كانَ وَجْهُهُ في غايَةِ ٱلقُبْحِ ، وَ كانَ



واضِحًا أنَّهُ قَدْ أَخذَتْهُ الدَّهْشَةُ وَالغَضَبُ . وَأَدْرَكْتُ على الفَوْرِ أنَّهُ صاحِبُ الصُّورَةِ .

بَيْنَما كُنَّا نَحْتَجِزُ الرَّجُلَ ، أخَذَ هُولمْز يَتَأَمَّلُ في القِطَعِ المُهَشَّمَةِ لِلتِّمْثالِ ، وكانَ تِمْثالًا آخَرَ مِنْ تَماثيلِ نابُلْيون . وَراحَ هُولمْز يَتَناوَلُ كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهُ وَيَفْحَصُها تَحْتَ أَشِعَّةِ الضَّوْءِ ، وَعِنْدَما أَوْشَكَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ فَحْصِهِ ، أَضاءَ شَخْصٌ أَنْوارَ المَنْزِلِ ، وَإذا بِرَجُلٍ سَمينٍ قَصيرِ القامَةِ يَخْرُجُ مِنَ المَنْزِلِ وَيَتَّجِهُ إلى هُولمْز ثُمَّ يَقولُ وَعَلى ثَغْرِهِ ابْتِسامَةٌ : « لا بُدَّ أنَّكَ السَّيِّدُ شِرْلُوك هُولمْز . »

أجابَ هُولمْز : « نَعَمْ ، وَلا بُدَّ أنَّكَ السَّيِّدُ جوسْياه براوِن . »

« نَعَمْ يا سَيِّدي ، لَقَدْ نَفَّذْنا كُلَّ ما طَلَبْتَهُ مِنَّا : أَغْلَقْنا جَميعَ الأَبْوابِ داخِلَ المَنْزِلِ ، وَأَطْفَأْنا جَميعَ الأَنْوارِ ، ثُمَّ انْتَظَرْنا في سُكونٍ تامٍّ . لَقَدْ قُمْتَ بِعَمَلٍ جَليلٍ يا سَيِّدي . أَرْجو أَنْ تَتَفَضَّلَ بِالدُّخولِ لِتَناوُلِ بَعْضِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ . »

قَدَّمَ هُولمْز الشُّكْرَ لِلسَّيِّدِ براوِن . وَلٰكِنَّ لِيسْترِيد أَرادَ أَنْ يَقْتادَ اللِّصَّ إلى مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ ، لِذا رَكِبْنا السَّيَّارَةَ جَميعًا مُتَّجِهينَ إلى سْكوتْلانْديارْد . وَفي أَثْناءِ الطَّريقِ لَمْ يَنْطِقِ اللِّصُّ بِكَلِمَةٍ ، وَإِنَّما كانَ يَرْنو بِعَيْنَيْهِ إلَيْنا طَوالَ الوَقْتِ . وَكانَ وَجْهُهُ يَبْدُو في غايَةِ البَشاعَةِ . وَعِنْدَما وَصَلْنا إلى سْكوتْلانْديارْد كانَ عَلَيْنا – أنا وَهُولمْز – أَنْ نَنْتَظِرَ فَتْرَةً طَويلَةً لِكَيْ نَكْتَشِفَ

أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ في حَوْزَتِهِ شَيْءٌ إلّا قَليلٌ مِنَ النُّقودِ ، وَسِكّينٌ طَويلَةٌ عَلِقَ بِها دَمٌ جافٌّ .

وَحينَما كُنَّا نَتَأَهَّبُ لِلانْصِرافِ قالَ لِيسْترِيد : « وَالآنَ يا سَيِّدُ هُولمْز أَرى لِزامًا عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَ لَكَ كُلَّ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَوْنٍ . وَأَعْتَقِدُ أنَّكَ تُوافِقُني الآنَ عَلى جَميعِ تَوَقُّعاتي ، فَقَدْ كانَتْ صائِبَةً . »

تَبَسَّمَ هُولمْز وَقالَ : « إنَّ الوَقْتَ مُتَأَخِّرٌ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أُوَضِّحَ لَكَ الأَمْرَ الآنَ ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أنَّكَ سَوْفَ تَرى فيما بَعْدُ أَنَّ مَسْأَلَةَ التَّماثيلِ النِّصْفِيَّةِ لَها مِنَ الأَهَمِّيَّةِ أَكْثَرُ مِمَّا تَظُنُّ . فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِمُقابَلَتي في السّاعَةِ السّادِسَةِ مِنْ مَساءِ الغَدِ ؟ »

قالَ لِيسْترِيد : « بِالتَّأْكيدِ ، إنَّهُ لَيُسْعِدُني دائِمًا أَنْ أَزورَكَ ، وَيَسُرُّني كَثيرًا أَنْ أَلْقاكَ . »

أَثْناءَ عَوْدَتِنا إلى المَنْزِلِ قالَ لي هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ لِيسْترِيد ضابِطُ مَباحِثَ مُمْتازٌ ، وَلٰكِنْ – في هٰذِهِ القَضِيَّةِ – غابَتْ عَنْهُ بَعْضُ الأَشْياءِ . وَإنّي لَأَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ القَضِيَّةَ مِنْ أَغْرَبِ القَضايا الَّتي تَوَلَّيْتُها في حَياتي يا واطْسُن . »

قُلْتُ : « أَحَقًّا ؟ تُرى ما الأَمْرُ الجَديدُ الَّذي تَظُنُّ أَنَّهُ في حاجَةٍ إلى اسْتِجْلاءٍ ؟ »

أَجابَ : « التَّماثيلُ يا واطْسُن ! أَعْتَقِدُ أَنَّها تُمَثِّلُ أَهَمَّ رُكْنٍ في هٰذِهِ القَضِيَّةِ . »

الفصل السابع

في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي جاء ليستريد إلى شارع بيكر ليلقانا . وكان قد توصل إلى معلومات كثيرة عن بيو : فقد وجد أنه لص مشهور ، وأنه قتل عددا من الناس ، وأنه كان ماهرا في صنع التماثيل الصفية وغيرها من التحف الفنية ، وأنه كان يعيش في لندن منذ سنوات طويلة ، ويتقن الإنجليزية ، ومن المحتمل أنه هو الذي صنع التماثيل الصفية التي في متجر غيلدر وشركاه .

كان هولمز يصغي إلى ما يقوله ليستريد وعلى وجهه ابتسامة ، ولكني أدركت أن أفكاره – في الحقيقة – منصرفة إلى شيء آخر . لقد كان يعرف كل ما يقدمه ليستريد من معلومات . وكنت واثقا أنه كان منتظرا أن يخبره بشيء لم يعرفه من قبل .. شيء يبعث الإثارة والدهشة .

دق جرس الباب الخارجي ، ثم سمعنا وقع خطوات شخص قادم نحو باب الغرفة التي كنا جالسين فيها ، ثم دخل رجل كبير السن أحمر الوجه ، يحمل حقيبة كبيرة ، وضعها فوق المنضدة ثم سأل : « هل السيد شرلوك هولمز هنا ؟ »

ابتسم هولمز وقال : « أنا شرلوك هولمز ، وأنت لا بد أن تكون السيد سائد فورد من ريدنغ . إنني مسرور بلقائك . هذا صديقي الدكتور واطسن ، وهذا هو السيد ليستريد من سكوتلانديارد . »

حيا كلانا السيد سائد فورد ، وأبدى أسفه لتأخره في القدوم ، لأن القطار الذي ركبه لم يصل في ميعاده ، ثم أخبر هولمز أنه أحضر له تمثال نابليون . وكان مع الرجل رسالة تلقاها من هولمز ، فوجه إلي وإلى ليستريد الكلام قائلا :

« أيها السيدان ، أريد منكما أن تستمعا إلى ما جاء في رسالة السيد هولمز التي بعث بها إلي بالأمس . » ثم شرع يتلوها :

« عزيزي السيد سائد فورد : لقد علمت من السيد هاردنغ صاحب متجر



ٱلتُّحَفِ ٱلفَنِّيَّةِ الإِخْوَةِ هارْدِيغ ، أَنَّكَ قَدِ ٱشْتَرَيْتَ مِنْهُ آخِرَ تِمْثالٍ نِصْفِيٍّ مِنَ ٱلجِصِّ لِنابُلْيون كانَ في مَتْجَرِهِ ، وَلَمَّا كانَتْ رَغْبَتي شَديدَةً في ٱقْتِناءِ هٰذا ٱلتِّمْثالِ ، فَإِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ ثَمَنًا لَهُ . فَإِذا وافَقْتَ أَرْجو ٱلتَّفَضُّلَ بِإِحْضارِهِ إِلى مَسْكَني بِشارِعِ بِيكَر بِلَنْدَن ، غَدًا في ٱلسّاعَةِ ٱلسّادِسَةِ وَٱلنِّصْفِ .

المُخْلِص

شِرْلُوك هُولمْز

بَعْدَ أَنْ تَلا ٱلرِّسالَةَ سَأَلَ هُولمْز : « هَلْ تَعْرِفُ ٱلثَّمَنَ ٱلَّذي ٱشْتَرَيْتُ بِهِ هٰذا ٱلتِّمْثالَ ؟ »

قالَ هُولمْز : « لا ! »

قالَ ٱلرَّجُلُ : « حَسَنًا ! إِنِّي لَسْتُ لِصًّا يا سَيِّدُ هُولمْز ! لَقَدْ دَفَعْتُ فَقَطْ – خَمْسَةَ عَشَرَ شِلِنًا ثَمَنًا لَهُ ، فَإِذا لَمْ تَكُنْ راغِبًا في شِرائِهِ ٱلآنَ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ ثَمَنَهُ ٱلحَقيقِيَّ – فَإِنَّ ذٰلِكَ يُسْعِدُني كَثيرًا . »

قالَ هُولمْز : « أَنا لا أَزالُ راغِبًا في ٱقْتِناءِ ٱلتِّمْثالِ . هاكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ . »

قَدَّمَ هُولمْز ٱلنُّقودَ إِلى ٱلسَّيِّدِ ساندفُورْد ، ٱلَّذي شَكَرَ هُولمْز ، ثُمَّ فَتَحَ ٱلحَقيبَةَ وَأَخْرَجَ مِنْها تِمْثالًا نِصْفِيًّا مِنَ ٱلجِصِّ لِنابُلْيون ، يُشْبِهُ بَقِيَّةَ ٱلتَّماثيلِ .

قالَ هُولمْز : « شُكْرًا يا سَيِّدُ ساندفُورْد . وَٱلآنَ ، قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ ، أُريدُ أَنْ تُوَقِّعَ بِٱسْمِكَ عَلى هٰذِهِ ٱلوَرَقَةِ ٱلَّتي تَتَضَمَّنُ أَنَّكَ بِعْتَ لِيَ ٱلتِّمْثالَ بِعَشَرَةِ جُنَيْهاتٍ ، وَأَنَّهُ أَصْبَحَ ٱلآنَ مِلْكًا لي . »

قالَ ساندفُورْد وَهُوَ يُوَقِّعُ بِٱسْمِهِ عَلى ٱلوَرَقَةِ : « بِٱلتَّأْكيدِ ! » ثُمَّ غادَرَ ٱلمَكانَ ، وَسَمِعْنا صَوْتَ ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ عَقِبَ خُروجِهِ .

الفَصْلُ ٱلثّامِنُ

لَمْ يَكَدِ ٱلسَّيِّدُ ساندفُورْد يُغادِرُ ٱلمَنْزِلَ حَتّى أَخَذَ هُولمْز يَقومُ بِبَعْضِ ٱلتَّصَرُّفاتِ ٱلغَريبَةِ ، وَكُنّا أَنا وَلِيسْتِريد نُراقِبُهُ بِٱهْتِمامٍ .

كانَ أَوَّلُ ما فَعَلَهُ أَنْ أَخْرَجَ قِطْعَةَ قُماشٍ بَيْضاءَ نَظيفَةً مِنَ ٱلصُّوانِ ، وَبَسَطَها عَلى ٱلمِنْضَدَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ ٱلتِّمْثالَ بِعِنايَةٍ . وَتَناوَلَ عَصاهُ وَضَرَبَ بِها ٱلتِّمْثالَ بِشِدَّةٍ فَتَهَشَّمَ قِطَعًا صَغيرَةً . وَهُنا صاحَ هُولمْز صَيْحَةً عالِيَةً ، وَٱلْتَقَطَ مِنْ فَوْقِ قِطْعَةِ ٱلقُماشِ شَيْئًا صَغيرًا أَسْوَدَ ، وَقالَ وَنَحْنُ نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ في صَمْتٍ : « هٰذِهِ هِيَ لُؤْلُؤَةُ بورْجيا ٱلسَّوْداءُ ! »

الحَقُّ لَقَدْ أَخَذَتْنا دَهْشَةٌ شَديدَةٌ ، وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ هَتَفْتُ : « يا لَعَبْقَرِيَّتِكَ يا هُولمْز ! كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ كانَتْ في ٱلتِّمْثالِ ؟ »

وَقالَ لِيسْتِريد في هُدوءٍ : « هٰذا مُسْتَحيلٌ ! »

شَرَعَ هُولمْز يُوَضِّحُ لَنا ٱلأَمْرَ فَقالَ : « إِنَّ هٰذِهِ ٱللُّؤْلُؤَةَ تُعَدُّ أَثْمَنَ لُؤْلُؤَةٍ في



العالَمِ ، وَكانَتْ قَدْ سُرِقَتْ مِنْ غُرْفَةِ ٱلْفُنْدُقِ ٱلَّذي تَنْزِلُ فِيهِ أميرةُ كُولُونّا في ٱلثّاني وَٱلعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ مايُو (أيّارَ) مُنْذُ عامٍ مَضى ." ثُمَّ وَجَّهَ ٱلكَلامَ إلى لِيسْتْرِيد قائِلًا : "أنْتَ ، بِالطَّبْعِ ، تَذْكُرُ هٰذا ٱلحادِثَ يا سَيِّدُ لِيسْتْرِيد ."

أجابَ لِيسْتْرِيد : "نَعَمْ أذْكُرُهُ ."

اِسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ قائِلًا : "حَسَنًا ، لَعَلَّكَ تَذْكُرُ أيْضًا أنَّ ٱلفُنْدُقَ ٱلَّذي كانَتْ تَنْزِلُ بِهِ قَريبٌ مِنَ ٱلمِنْطَقَةِ ٱلَّتي يَقَعُ فيها مَتْجَرُ غِيلْدَر وَشُرَكائِهِ ، وَلَقَدْ ظَنَّتِ ٱلشُّرْطَةُ يَوْمَئِذٍ أنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ سَرَقَتْها فَتاةٌ إيطالِيَّةٌ كانَتْ تَعْمَلُ في

ٱلفُنْدُقِ وَتُدْعى لوكْرِيتيا فِينُوتْشي ، وَأعْتَقِدُ أنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي قُتِلَ مُنْذُ يَوْمَيْنِ وَٱلمُسَمّى بِيتْرو كانَ شَقيقَها .

"لَقَدْ تَصَفَّحْتُ ما عِنْدي مِنَ ٱلصُّحُفِ ٱلقَديمَةِ ، وَٱكْتَشَفْتُ أنَّ بِيُو أُدْخِلَ ٱلسِّجْنَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَقَطْ مِنْ سَرِقَةِ ٱللُّؤْلُؤَةِ ، وَفي ٱلفَتْرَةِ نَفْسِها ٱلَّتي صُنِعَتْ فِيها ٱلتَّماثيل . وَأظُنُّ أنَّ بِيتْرو فِينُوتْشي وَ بِيُو قَدِ ٱشْتَرَكا في سَرِقَةِ ٱللُّؤْلُؤَةِ . وَهُناكَ ٱحْتِمالٌ آخَرُ ، وَهُوَ أن فِينُوتْشي سَرَقَتْها مِنْ بِيُو . عَلى أيَّةِ حالٍ لَيْسَ لِهٰذا أهَمِّيَّةٌ ، وَإنَّما ٱلمُهِمُّ هُوَ أنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ كانَتْ مَعَ بِيُو حِينَما حاوَلَتِ ٱلشُّرْطَةُ ٱعْتِقالَهُ عَقِبَ ٱلعِراكِ ٱلَّذي نَشِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إيطالِيٍّ آخَرَ في ٱلشّارِعِ ، حَيْثُ جَرى إلى مَتْجَرِ غِيلْدَر وَأرادَ أنْ يُخْفِيَ ٱللُّؤْلُؤَةَ ، وَلٰكِنْ أيْنَ ؟ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ فُسْحَةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمَحَ تَماثيلَ نابُلْيُون ٱلجَصِّيَّةَ ٱلَّتي كانَتْ قَدْ صُبَّتْ مُنْذُ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ جَفَّتْ بَعْدُ ، فَدَسَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ في إحْداها وَغَطّى ٱلثَّقْبَ ٱلَّذي أحْدَثَهُ . وَلَقَدِ ٱسْتَطاعَ أنْ يَقومَ بِهٰذِهِ ٱلعَمَلِيَّةِ في سُرْعَةٍ وَيُسْرٍ لِأنَّهُ سَبَقَ أنْ صَنَعَ كَثيرًا مِنَ ٱلتَّماثيلِ ٱلمُماثِلَةِ فيما مَضى ، وَكانَ هٰذا خَيْرَ مَكانٍ يُمْكِنُ أنْ يُخْفِيَ فيهِ ٱللُّؤْلُؤَةَ .

زُجَّ بِيُو في ٱلسِّجْنِ لِمُدَّةِ سَنَةٍ بِسَبَبِ ٱلعِراكِ . وَفي أثْناءِ هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ بِيعَتِ ٱلتَّماثيلُ ٱلسِّتَّةُ . ولٰكِنْ – لِحُسْنِ حَظِّهِ – كانَ لَهُ صَديقٌ يَعْمَلُ عِنْدَ غِيلْدَر وَشُرَكاهُ ، وَأعْتَقِدُ أنَّ هٰذا ٱلصَّديقَ ٱسْتَطاعَ أنْ يُزَوِّدَهُ بِأسْماءِ ٱلَّذينَ ٱشْتَرَوْا ٱلتَّماثيلَ .

كانَ هُناكَ سِتَّةٌ مِنْ هٰذِهِ التَّماثِيلِ ، خَمْسَةٌ مِنْها في لَنْدَن ، وَواحِدٌ في رِيدِنغ . وَهٰكَذا شَرَعَ بِيُو في ٱلبَحْثِ عَنْ ٱلتِّمْثالِ ٱلَّذي يَحْوي ٱللُّؤْلُؤَةَ . وَبِالطَّبْعِ ، كانَ مِنَ ٱلأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ ٱلبَحْثَ في لَنْدَن ، وَيَبْدو أَنَّ فِينُوتْشي ٱكْتَشَفَ أَنَّ بِيُو قَدْ عَرَفَ مَكانَ ٱللُّؤْلُؤَةِ . وَلِذٰلِكَ حاوَلَ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ عَقِبَ خُروجِهِ مِنَ ٱلسِّجْنِ ، فَلَمَّا وَجَدَهُ تَبِعَهُ إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر في كينسِنْغتون . وَقامَتْ بَيْنَهُما مَعْرَكَةٌ ٱنْتَهَتْ بِأَنْ قَتَلَ بِيُو فِينُوتْشي .

هُنا سَأَلَ لِيسْترِيد : « إِذا كانَ فِينُوتْشي يَعْرِفُ بِيُو مَعْرِفَةً وَثيقَةً فَلِماذا كانَ يَحْمِلُ صُورَتَهُ ٱلفوتوغْرافِيَّةَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لِكَيْ يَسْتَخْدِمَها أَثْناءَ ٱلبَحْثِ عَنْ بِيُو ، فَيَسْأَلَ عَمّا إِذا كانَ أَحَدٌ قَدْ شاهَدَ صاحِبَ ٱلصُّورَةِ . وَبِالطَّبْعِ ، لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدًا أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ لَيْسَتْ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، وَلٰكِنَّني حَذَّرْتُ جُوسْياه براوِن وَأُسْرَتَهُ . وَٱلحَقُّ أَنَّنا كُنّا مَحْظُوظِينَ – كَما تَعْلَمانِ – إِذْ لَمْ تَكُنِ ٱللُّؤْلُؤَةُ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، فَلَمَّا ذَهَبَ بِيُو إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ براوِن وَأَمْسَكْنا بِهِ هُناكَ ؛ أَدْرَكْتُ وَقْتَئِذٍ أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ لابُدَّ أَنْ تَكونَ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ ساندْفُورْد .

« لَقَدْ كانَتِ ٱلقِصَّةُ ٱلَّتي كَتَبَها ٱلسَّيِّدُ هارْكَر في صَحيفَتِهِ ذاتَ عَوْنٍ لَنا ، فَلَقَدْ جَعَلَتْ بِيُو يَعْتَقِدُ أَنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ يَتَّجِهُونَ في بَحْثِهِم ٱتِّجاهًا خاطِئًا ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُمْ يَبْحَثونَ عَنْ رَجُلٍ مَجْنونٍ يَبْغُضُ نابِلْيون ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِ أَنَّني ٱكْتَشَفْتُ ٱلسِّرَّ ٱلحَقِيقِيَّ لِلتَّماثِيلِ . وَٱلآنَ في أَيْدينا ٱللُّؤْلُؤَةُ ، وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذي قَتَلَ فِينُوتْشي . »

قالَ لِيسْترِيد : « يا سَيِّدُ هُولمْز ، لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَعْمَلُ في قَضايا كَثيرةٍ فيما مَضَى ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ تَقِفُ في مُقَدِّمَتِها جَميعًا . وَأَنا واثِقٌ أَنَّ أَصْدِقائي في سْكُوتْلانْديارْد سَوْفَ تَبْهَرُهُمُ ٱلقَضِيَّةُ وَطَرِيقَةُ حَلِّها ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِتَلْتَقِيَ بِهِمْ غَدًا ؟ إِذا ٱسْتَطَعْتَ فَأَنا واثِقٌ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ سُعَداءَ بِالتَّحَدُّثِ إِلَيْكَ . »

قالَ هُولمْز : « إِنَّهُ لَيُسْعِدُني أَنْ أَحْضُرَ . شُكْرًا لَكَ . »

قالَ لِيسْترِيد ، « أَنا ٱلمَدينُ لَكَ بِالشُّكْرِ : فَلَمْ أَفْهَمْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ حَقَّ ٱلفَهْمِ ، وَلَوْلا مَعونَتُكَ لَما كانَ في مَقْدوري أَنْ أَجِدَ ٱللُّؤْلُؤَةَ قَطُّ . »

ابْتَسَمَ هُولمْز لِلَحْظَةٍ ، وَخَفَضَ بَصَرَهُ ناظِرًا إِلى ٱلأَرْضِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْري ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَقولَهُ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ فَجْأَةً وَقالَ : « وَٱلآنَ يا واطْسُن ، إِنَّ لَدَيْنا عَمَلًا يَنْتَظِرُنا . فَهٰذِهِ لَيْسَتِ ٱلقَضِيَّةَ ٱلوَحيدَةَ ٱلَّتي أَمامَنا . إِلى ٱللِّقاءِ يا لِيسْترِيد ، وَإِذا كانَ لَدَيْكَ قَضايا صَغيرةٌ أُخْرى ، فَإِنَّهُ يُسْعِدُني أَنْ أُساعِدَكَ فيها ... إِذا كانَ ذٰلِكَ في ٱسْتِطاعَتي . »



مغامرات شرلوك هولمز



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم كمبيوتر 01 C 108 402